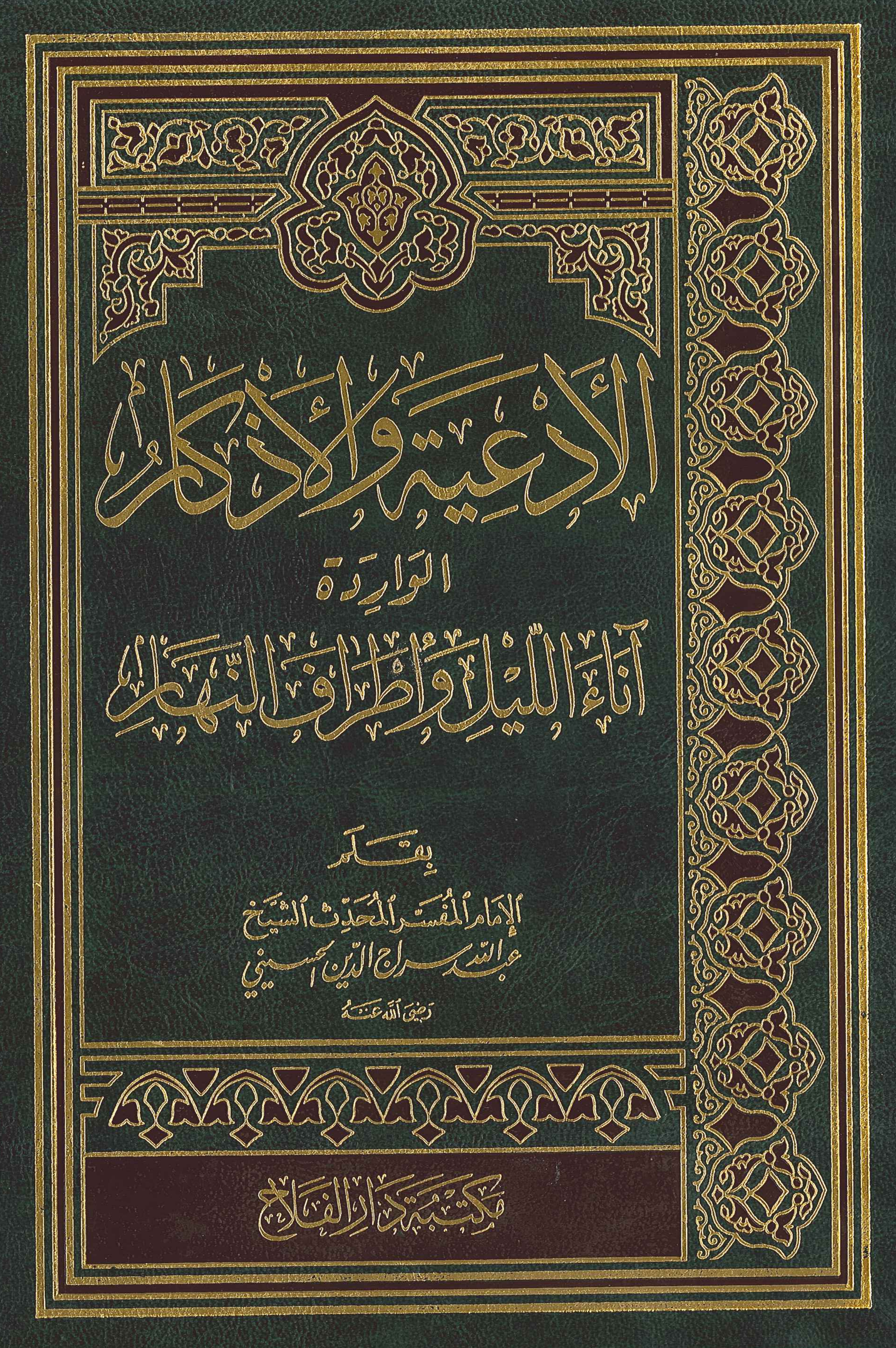
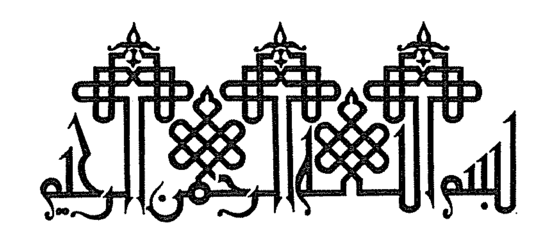
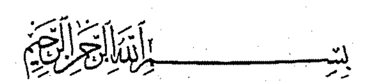

الأدعية والأذكار
الواردة
آناء الليل وأطراف النهار
بقلم
الإمام المفسر المحدث الشيخ
عبد الله سراج الدين الحسيني
رضي الله عنه
مكتبة دار الفلاح



أيها القارئ الكريم :

اقرأ سورة الفاتحة كلما قرأت في كتاب من كتبي ، واهدِ ثوابها إلى العلامة الشهير ، والعارف الكبير ، حامل لواء الحجة بالكتاب والسنة ، المفسّر والمحدث بالأسانيد المتصلة ، عن كبار المحدثين - في حلب ودمشق والمغرب وغيرها من البلاد الإسلامية - بإجازات عالية الأسانيد - محفوظة عندي - سيدي وشيخي والدي الكريم ، الشيخ محمد نجيب سراج الدين الحسيني ، رحمه الله تعالى ، وجزاه عن المسلمين خيرًا ، إنه هو السميع العليم

آمين



قال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ
خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ
أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴾

ذكرىٰ : أيها القارىء الكريم اصحب هذه الرسالة معك ، حتىٰ إذا طالبك وقت من الأوقات بدعائه وذكره : نشرتها فقرأته ؛ فما تمضي مدة إلا وتصير هذه الأدعية والأذكار محفوظة بعلمك ، وكفاك فضلاً أنْ تحيا على ما فيها ، وتموت وتلقى الله تعالى على ذلك .

الأدعية والأذكار

الواردة

آناء الليل وأطراف النهار

بقلم

الإمام المفسر المحدث الشيخ

عبد الله سراج الدين الحسيني

رضي الله عنه

الطبعة الخامسة
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح لنا باب الدعاء والرجاء ، وتفضَّل علينا بالإجابة وحسن العطاء ، أحمده وأشكره على ما مَنَّ به من سحائب الكرم ، وأَغْدقه من شآبيب النِّعمِ ، وأصلي وأسلم على سراج عوالم الله تعالى المنير ، وقطب الكائنات المستمد من اللطيف الخبير ، وعلى آله وصحبه البررة الأطهار ، والأصفياء الأخيار .

وبعد :

فهذه رسالة مُوجزة مختصرة ، لخصت فيها طَرَفاً من الأدعية المأثورة المشتهرة ، تيسيراً على الداعين المستصرخين ، المتعلقة قلوبهم برب العالمين مبتغياً في ذلك ثواب داعيه وقارئه ، لقوله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « الدال على الخير كفاعله » .

والله تعالى أسأل ، وبرسوله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أتوسل ؛ أنْ يجعل عملي هذا وسائر أعمالي خالصةً لوجهه الكريم ، إنه هو السميع العليم .

❊ ❊ ❊

مقدمة في فضل الذكر والدعاء

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ قال بعض العارفين رضي الله تعالى عنه : إن الله تعالى ما وصف بالكثرة شيئاً إلا الذكر ، وما أمر بالكثرة من شيء إلا مِنَ الذكر قال تعالى : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ .

أما مَعْنَى تلك الكثرة : فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : المراد : يذكرون الله تعالى في أدبار الصلوات ، وَغُدوة وعَشِيّاً ، وفي المضاجع ، وكلما استيقظ من نومه ، وكلما غَدا أو راح من منزله ؛ ذكر الله تعالى . اهـ .

وقال مجاهد : لا يكون من ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ حتى يذكر الله تعالى قائماً وقاعداً ومضطجعاً .

فهي أن يذكر الله تعالى على الأحيان كلها : قائماً ، وقاعداً ، ومضطجعاً ، كما روى مسلم في مقدمة (صحيحه) عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يذكر الله على كل أحيانه » وهذا بيان لقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ ولهذا جاء في الحديث أنَّ العبد مطالب بذكر الله تعالى في كل مَمْشىً يمشيه ، وكل مَقْعَد يقعده ، وكل مُضْطَجَع يضطجعه ، كما روى أبو داود بإسناده ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَنْ قَعَد مقعداً لم يذكر الله تعالى

فيه كانت عليه من الله تِرَةٌ ، ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تِرَةٌ ، وما مشى أحد مَمْشى لا يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله تِرة » .

التِّرة هنا معناها : التبعة . يعني : إنَّ لله تعالى عليه حقاً يطالبه به إذا لم يذكر الله تعالى في ذلك كله .

ولما سئل الإمام أبو عمرو بن الصلاح رضي الله تعالى عنه، عن القدر الذي يَصير به من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات؟ أجاب فقال: إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة، صباحاً ومساءً ، في الأوقات والأحوال المختلفة ، ليلاً ونهاراً : كان من الذاكرين الله تعالى كثيراً والذاكرات . اهـ .

وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ .

روى الترمذي، عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله ، إنّ شرائع الإيمان قَد كثرت عَليَّ ، فأخبرني بشيء أَتَشَبَّثُ به .

قال : « لا يزال لسانُكَ رَطْباً مِن ذكر الله تعالى » .

وروى ابن ماجه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال: «يقول الله عز وجل : أنا مَعَ عبدي إذا هو ذكرني ؛ وتحركت بي شفتاه » .

* * *

فضل طلب العلم

قال الله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ[2] وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

وقال الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ ﴾[3] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ[4] إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ .

وعن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيراً يُفَقِّهْه في الدين » رواه الشيخان ، وابن ماجه ، ورواه أبو يعلى وزاد فيه : « وَمَنْ لَمْ يُفقهه لم يبال به » .

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم: «طَلَبُ العِلْمِ فريضةٌ على كل مسلم»[5] رواه البيهقي ، والطبراني

---

(١) قَرَن الله تعالى شهادة العلماء بشهادة الملائكة ، الذين قرن شهادتهم بشهادته تعالى ، وفيه إرشاد إلى رفعة مقام العلماء بين صفوف الملائكة عليهم السلام .

(٢) فهو سبحانه يرفع درجات المؤمنين عامة ؛ بالرفع العام ، ويرفع درجات العلماء بالرفع الخاص .

(٣) يُبيِّن الله تعالى سبب شرف وفضل العلماء : إنما هو النور القرآني ، والبرهان الرباني ؛ الذي حفظوه في صدورهم ، فهم حملة أسرار الله تعالى وآياته .

(٤) يُبين الله تعالى صفة العلماء الذين ينالون رفعة الدرجات ، وشرف الرتبة ؛ إنما هي الخشية من الله تعالى . فَمَنْ لم يحمله عِلمه على الخشية مِن الله تعالى فليس من أولي العلم .

(٥) اختلف العلماء في تحديد هذا المفروض من العلم ، والظاهر أنه علم الحال الذي تَسلم به=

وغيرهما، ورمز السيوطي إلى صحته ، وقد رواه السخاوي بسند رجاله ثقات عن أنس رضي الله عنه ، قال : ورواه عن أنس رضي الله عنه نحو عشرين تابعياً .

ورواه ابن ماجه بزيادة : « وواضع العلم عند غير أهله : كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب » .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « مَنْ سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سَهَّل الله له طريقاً[١] إلى الجنة ، وإنَّ الملائكة لَتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ، وإنَّ العالم ليستغفر له مَنْ في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء .

وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب .

وإنَّ العلماء ورثةُ الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ؛ وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بِحَظٍّ وافرٍ »[٢] رواه أبو داود والترمذي وغيرهم .

وعن صفوان بن عَسَّال المرادي رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وهو في المسجد ، متكىء على بردٍ له أحمر ، فقلت

= العقيدة ، ويصح به العمل التكليفي الشرعي من الأمر والنهي .

(١) فمن خرج من بيته قاصداً مجالس العلم ـ ليعلم أمر دينه وشرعه ـ فطريقهُ مَوْصُولة بطريق الجنة .

(٢) بهذا يعلم أن وَصف العلماء على إطلاقه لا يقال إلا على ورثة الأنبياء فقط ، الذين حملوا عنهم الشريعة وتعاليم الدين ، فلا يجوز إطلاق كلمة العلماء على أعداء الدين الذين هم أعداء الأنبياء ، بل ينبغي تقييد ذلك بالفن الذي بَرعوا فيه ، فيقال في أحدهم : عالم بكذا مثلاً ، وأما العلماء بالإطلاق فهم ورثة الأنبياء ؛ بنص هذا الحديث . والله تعالى أعلم .

له : يا رسول الله إني جئت أطلب العلم .

فقال : « مرحباً بطالب العلم ، إنَّ طالب العلم تَحفُّه الملائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يَبلغوا السماء الدنيا ؛ من محبتهم لما يَطلب » رواه الإمام أحمد والطبراني بإسناد جيد وهذا لفظه .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « يا أبا ذر لأَن تَغْدُوَ فتعلم ـ أي : فتتعلم ـ آية من كتاب الله : خير لك مِنْ أنْ تُصَلِّيَ مائة ركعة ، وَلأَن تَغدو فتعلم باباً من العلم ـ عُمِل به أو لم يعمل به ـ خير لك مِنْ أنْ تُصَلّي أَلف ركعة » رواه ابن ماجه بإسناد حسن .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله تعالى وما والاه ، وعالماً ومتعلماً » رواه الترمذي وحسنه .

وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّ مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر ، وإذا انطمست النجوم أَوْشَكَ أن تضل الهداة » رواه الإمام أحمد .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : ذُكِرَ لرسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم رجلان : أحدهما عابد والآخر عالم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « فَضْلُ العالم على العابد : كفضلي على أدناكم » .

ثم قال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إنّ الله وملائكتَهُ ، وأهل السموات والأرض ، حتى النملةَ في جحرها ، وحتى الحوتَ : لَيُصَلُّون على مُعلِّم الناس الخير » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « مَنْ غدا يُريد العلم يتعلمه لله : فتح الله له باباً إلى الجنة ، وَفَرَشَتْ له الملائكة أكتافها ، وَصَلَّت عليه ملائكة السموات ، وحيتان البحر » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « اللهم ٱرحم خلفائي » .

قلنا : يا رسول الله وَمَنْ خلفاؤك ؟ .

قال : « الذين يأتون من بعدي ، يَروُوْن أحاديثي ، ويعلمونها الناس » رواه الطبراني وغيره .

وعن جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « يُبعث العالم والعابد ، فيقال للعابد : أُدخل الجنة ، ويقال للعالم : أُثبت حتى تَشفع للناس بما أحسنت أدبهم » رواه البيهقي وغيره .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَنْ خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذي وَحَسَّنه .

من آداب طالب العلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والوقار ، وتواضعوا لمن تَعَلَّمُون منه » رواه الطبراني .

قال بعض العلماء : للعلم ست مراتب :

أولها : حسن السؤال . **الثانية** : حُسن الإنصات والاستماع . **الثالثة** : حسن الفهم . **الرابعة** : الحفظ . **الخامسة** : التعليم . **السادسة** : ـ وهي ثمرته ـ العمل به ، ومراعاة حدوده .

وإنما يُحرم العلم من أخل ببعض هذه المراتب ، فَمِنَ الناس مَن يُحْرم العلم لعدم حسن سؤاله : إمّا أنه لا يسأَل بحال ، أو يسأل عما لا يَهم ويترك الأهم ، أو يسأل عناداً وجدالاً .

ومن الناس مَنْ يُحرم العلم لسوء إنصاته واستماعه .

ومنهم مَنْ يُحرمه لسوء فهمه .

ومنهم مَنْ يُحرمه لسوء حفظه .

ومنهم مَنْ يحرمه لعدم نشره وتعليمه ، فَإنّ مَنْ كتم علمه وَلَمْ ينشره ابتلاه الله تعالى بنسيانه وذهابه منه ـ جزاءً وِفاقاً .

ومنهم من يُحرم العلم لعدم العمل به .

قال بعض السلف : كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به .

فضيلة التعليم
والدعوة إلى الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ جاء عن الحسن البصري رضي الله عنه ، أنه لما تلا هذه الآية قال : هذا حبيب الله تعالى ، هذا ولي الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب أهل الأرض إلى الله ، أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وَعَمِل صالحاً في إجابته ، وقال : إنَّني من المسلمين ، هذا خليفة الله تعالى .

وروى الإمام أحمد، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « يا معاذ لأَن يَهْدي الله على يديك رجلاً من أهل الشرك خير لك من أن تكون لك حُمُرُ النَّعَمِ » .

وفي الطبراني ، عن أبي رافع رضي الله عنه قال : بَعث رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم علياً رضي الله عنه إلى اليمن ، فعقد له لواءً ، فلما مضى قال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « يا أبا رافع اِلْحقه ، ولا تَدْعُهُ مِنْ خلفه ، وليقف ولا يلتفت حتى أجيئه » فأتاه فأوصاه بما شاء ، وقال : « لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

وفي (صحيح) البخاري ، عن سهل رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال لعلي رضي الله عنه يوم خيبر : « أُقعد على رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حَق الله ، فوالله لأن يهدي بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حُمُر النَّعَمِ » .

وفي (مسند الفردوس) عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من تَعلم باباً من العلم ليُعَلِّم الناس : أُعطي ثواب سبعين صِدِّيقاً » .

وقال سيدنا عيسىٰ على نبينا وعليه الصَّلاة والسلام : « من تَعَلَّم وَعَلَّم وعمل ؛ فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السماء » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ حَفظ علماً فسئل عنه فكتمه : جِيء به يوم القيامة مُلجماً بلجام من نار » رواه الترمذي .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم

قال : « من كَتَم عِلماً ؛ مما ينفع الله به من أمر الناس في الدين : ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » رواه ابن ماجه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « نِعْمَ العَطِيَّةُ كلمة حقٍّ تَسمعها ، ثُمَّ تحملها إلى أخٍ لك مسلم فتعلمها إياه » رواه الطبراني .

وعن أبي أُمَامة رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إنَّ الله وملائكته ، وأهل سماواته وأرضه ، حتى النملةَ في جحرها : لَيصلون على معلم الناس الخير » رواه الترمذي وصححه .

وعن ابن المنكدر رضي الله عنه ، أنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « مِنْ أفضل الفوائد حديث حسن ؛ يسمعه الرجل فيحدث به أخاه » رواه ابن عبد البر بإسناد حسن .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « ما أهدىٰ مُسلم لأخيه هديَّة أفضل مِنْ كلمةِ حكمةٍ تزيده هدى ، أو ترده عن رَدىً » رواه أبو نعيم .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما (أَنَّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم دخل المسجد ، فرأى مجلسين : أحد المجلسين يدعون الله وَيَرْغُبون إليه ، والآخر يتعلمون الفقه ويُعلمون .

فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « كِلاَ المجلسين على خير ، أحدهما أفضل من الآخر ، أمَّا هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه : إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، أما هؤلاء فيتعلمون وَيُعلمون الجاهل ، وإنما بُعثت معلماً ، وهؤلاء أفضل » فأتاهم حتى جلس إليهم) رواه الطبراني .

قال صاحب (القوت) رضي الله عنه : ويحكى عن بعض السلف قال : دخلت المسجد ذات يوم ، فإذا بحلقتين : أحدهما يقصون وَيَدْعُون ، والأخرى يتكلمون في العلم ، وفقه الأعمال ، قال : فملت إلى حلقة الدعاء فجلست إليهم ، فحملتني عيناي فنمت ، فهتف بي هاتف : جلستَ إلى هؤلاء ؛ وتركت مجلس العلم ، أمَا لو جلست إليهم لوجدت جبريل عليه السلام عندهم .

الترغيب في مجالسة العلماء

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» .

قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ .

قال : « مجالس العلم » رواه الطبراني[1] .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إنَّ لقمان قال لابنه : يا بني عليك بمجالسة العلماء ، واسمع كلام الحكماء . فإنّ الله ليحيي القلب الميت بنور الحكمة ؛ كما يحيي الأرض بوابل المطر » رواه الطبراني .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قيل يا رسول الله أيّ جلسائنا خير ؟ .

قال : «من ذكركُمُ اللهَ رؤيتُهُ، وزاد في علمكم منطقُهُ، وذكَّركم بالآخرة عمله » رواه أبو يعلى .

قال سهل بن عبد الله التُستري رضي الله عنه : مَنْ أراد أن ينظر إلى

---

(١) قال المنذري : وفيه راوٍ لم يُسَمَّ .

مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء ، فهم خلفاء[1] الرسل في أُممهم ، ووارثوهم في علمهم ، فمجالسهم مجالس خلافة النبوة .

ما جاء في إكرام العلماء وتوقيرهم

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « ليس من أمتي مَنْ لم يُجِلَّ كبيرنا ، وَيَرحم صغيرنا ، وَيَعرفْ لعالمنا حقه » رواه أحمد بإسناد حسن .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « تَعَلَّموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والوقار ، وتواضعوا لمن تَعَلَّمون منه » رواه الطبراني .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ثلاثٌ لا يَسْتَخف بهم إلا منافق : ذو الشيبة في الإسلام ، وذو العلم ، وإمامٌ مقسط » رواه الطبراني .

ومجالسة العلماء العاملين لا تخلو عن فائدة ، وذلك :

إما أنْ ينتفع بمسألة علمية ؛ تزيده في تقواه ، أو إيمانه ، أو يقينه .

وإما أنْ تَعتري قلبه خشعة ، فتجري من عينيه دمعة ، فتجلو الغياهب عن القلب ، فَتشعَّ فيه أنوار الرب سبحانه وتعالى .

وإن لم تحصل هذه الفائدة ولا تلك فإنَّ مَنْ جالس جانَس ، وسيأتي في الحديث : « يقول الله تبارك وتعالى : وله قد غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » .

---

(١) مِنْ هنا تَعلم جهل الجاهلين المغترين بأنفسهم ، لا يعبؤون بأهل العلم ولا يَكْتَرِثون بهم .

ذكرى :

أَيْ أخي الكريم أنصحك نصيحة لله تعالى :

عليك بمجالسة الصالحين والطيبين ، وإياك ومجالسة الطالحين الخبيثين ، فإن الله تعالى أمرنا بأوامر ، ونهانا عن مناهِيَ :

فجاء فيما أمرنا به : الكينونة مع الصادقين فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ فلما أمرنا بالتقوى ـ وهي : امتثال الأوامر ، واجتناب المناهي ـ أمرنا بالكينونة مع الصادقين ، حتى تتحقق التقوى ، وحتى تَحفظ تقواك ، وتثبت لك أعمالك .

وجاء فيما نهانا عنه ، النهي عن الركون إلى الظَّلَمَةِ ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ تدبر في هذه الآية ، تنكشف لك الأخطار العظيمة في مخالطة الظلمة ، فنهىٰ عن الركون إليهم ، والركون إليهم هو أدنى الميل إليهم ، وهذا يَشمل ميل القوالب ، وميل القلوب ، وميل العقول، فلا تركن إليهم بجسمك مخالطة ومجالسة ؛ إلا عن ضرورات ملجئة ، فيكون ذلك بمقدار، ولا تركن إليهم قلباً بأدنى محبة وَتَقَبُّلٍ لما هم عليه ؛ وما يعتقدون ـ خصوصاً المبتدعة الضالين ـ ولا تركن إليهم عقلاً فَتَسْتَحْسن نظرياتهم وأفكارهم الباطلة ؛ التي كرهها الله تعالى ورسوله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وهذا يشمل طوائف الظلمة : من الفسقة المتهتكين ، والمبتدعة الضالين ، والملاحدة المارقين ، ولذا قال الحسن البصري رضي الله عنه : (جُمِعَ الدين في لاءين) يعني : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ الآيتين .

وَرُوِيَ أن الموفق أبا أحمد طلحة العباسي ، سمع الإمام يقرأ في الصلاة هذه الآية فَغُشي عليه ، فلما أفاق قيل له في ذلك ؟ .

فقال : هذا فيمن رَكَن إلى الظالم ؛ فكيف بالظالم ؟!!! .

وروي أنَّ رجلاً قال لسفيان : إنني أُخيط للظلمة ، فهل أُعد من أعوانهم ؟ .

فقال : لا . أنت منهم ، ولكن الذي يبيعك الإبرة مِنْ أعوانهم . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وأعظم أسباب الفساد التي تفتك في شباب المسلمين : إنما هو المخالطة والمجالسة السيئة للظالمين الباغين .

* * *

فضل مجالس الذكر

في (الصحيحين)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا: هَلُمُّوا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا ، فيسألهم ربهم ـ وهو أعلم بهم ـ: ما يقول عبادي ؟ .

فيقولون : يُسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، ويمجدونك .

قال : فيقول : هل رأوني ؟ .

فيقولون : لا .

فيقول : كيف لو رأوني ؟ .

فيقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً .

قال : فيقول : ما يسألون ؟ .

فيقولون : يسألونك الجنة .

فيقول : هل رأوها ؟ .

فيقولون : لا يا رب .

فيقول : كيف لو رأوها .

فيقولون : لو رأوها كانوا أشد عليها حرصاً ، وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة .

قال : فَمِمَّ يتعوذون ؟ .

فيقولون : من النار .

فيقول : هل رأوها ؟ .

فيقولون : لا يا رب .

فيقول : كيف لو رأوها ؟ .

فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة .

قال : فيقول : أُشهدكم أنِّي قَدْ غفرتُ لَهم .

قال : فيقول مَلَك منهم : فيهم فلان عَبْد خَطّاء ليس منهم ، إنما مَرّ لحاجة فجلس .

فيقول: وله قد غفرت، هم القوم لا يَشقىٰ بهم جليسهم» .

وروى مسلم ، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما ، أنهما شهدا على النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، وَنزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

وروى مسلم ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم خرج على حَلقة مِن أصحابه فقال : « ما أجلسكم » ؟ .

قالوا : جلسنا نذكر الله ، ونحمده على ما هدانا للإسلام ، ومَنّ به علينا بالإيمان .

قال : « آلله ما أجلسكم إلا ذاك » ؟ .

قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك .

قال: «أما وإني لم أستحلفكم تُهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني

أَنَّ الله عز وجل يباهي بكم الملائكة» .

وفي الترمذي، عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « إذا مَررتم بِرياض الجنة فارتعوا » .

قالوا : وما رياض الجنة ؟ .

قال : « حِلَقُ الذكر » .

وعن أبي واقد الليثي ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم بينما هو جالس في المسجد ، والناس معه ، إذ أقبل عليه ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وذهب واحد .

قال : فوقفا على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً . فلما فرغ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ـ أي : من حديثه العلمي ـ قال : « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيا ـ أي : فجلس خلف الناس ـ فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض ـ أي : عن سماع الحديث ـ فأعرض الله عنه » .

❊ ❊ ❊

فضيلة الدعاء

قال تعالى : ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ .

والاعتداء في الدعاء هو : أن تسأله سبحانه شيئاً يُناقض حكمته الكونية أو الشرعية .

فالأول : أن تسأله وَلداً من غير زوجة ولا أمة ، أو التخليد إلى يوم القيامة .

والثاني : بأن تسأله الإعانة على المحرمات مثلاً . فكل ذلك اعتداء في الدعاء لا يجوز .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ .

روى الترمذي ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « سلوا الله من فضله ؛ فإن الله يحب أن يُسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفَرَج » .

ورُوىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء » .

ورُوىٰ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَنْ فُتح له باب الدعاء فُتحت له أبواب الرحمة ، وما سئل الله تعالى شيئاً أحب إليه مِنْ أَنْ يُسأل العافية » .

وقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم: «إنَّ الدعاء ينفع مما نزل ومما لم يَنْزِل ؛ فعليكم عباد الله بالدعاء » .

وروى الحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض» .

وروى الإمام أحمد ، عن أبي سعيد رضي الله عنه ، أنَّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « ما مِنْ مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ، ولا قطيعةِ رحم : إلا أَعطاه الله إحدى ثلاث : إما أن يُعجل الله له دعوته ، وإما أن يَدَّخِرها له في الآخرة ، وإما أَنْ يصرف عنه من السوء مثلها » .

قالوا : إذاً نكثر ـ أي : من الدعاء ـ .

فقال : « الله أكثر » أي : أكثر إجابة .

وروى البزار ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ليسأل أحدكم ربه حاجته ـ أو « حوائجه » ـ كلها ، حتى يسأله شِسْع نعله إذا انقطع ، وحتى يسأله الملح » .

وفي الدعاء أنواع العبودية والعبادة لله سبحانه ، فإن فيه تَبَرُّأً من حول العبد وقوته إلى حول الله وقوته ، وفيه الاعتراف بأن الأشياء كلها له سبحانه ، وأنَّه ما يكون من شيء: صحةٍ، أو مرضٍ ، أو رزقٍ ، أو فقرٍ فمنه سبحانه. ولذلك وَرَد : « إن الدعاء مخ العبادة » وفيه اتصال القلب وتعلقه بالرب ، وفيه التوجه والفرار إلى الواحد القهار ، وفيه التودد والتملق به سبحانه ؛ كما هو شأن المحبين المتملقين .

ولذلك ورد أن الله تعالى يُحب الإلحاح في الدعاء ، ولا شك أَنَّ هذا كله من المطالب التي تقتضيها حقيقة العبودية ؛ في سائر الأحوال

والأوضاع ، وجميع الساعات والأوقات ، ولهذا جاءت السنة المحمدية عليه الصلاة والسلام تكشف عما يقتضيه حالك وشأنك ؛ في مختلف ساعاتك وأوقاتك ؛ مِنْ صيغ الأدعية والأذكار ، طيلة الليل والنهار . ونحن نذكر ما ييسره الله تعالى مما ورد .

ما يقول الإنسان عند الانتباه من النوم

عن حذيفة رضي الله عنه قال : كان النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا أخذ مضجعه قال : « باسمك اللهم أموتُ وأحيا » وإذا استيقظ من منامه قال : « الحمد لله الذي أحيانا بَعد ما أماتنا وإليه النشور » متفق عليه .

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « ما مِنْ عبد يقول حين يَرُدُّ الله إليه روحه ـ أي : من النوم ـ : لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ـ إلا غَفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » رواه ابن السني بإسناد صحيح .

ما يقول إذا أصبح وإذا أمسى

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا أمسى قال : « أَمْسَيْنا وأمسى المُلْك لله ، والحمد لله ، لا إلّه إلا الله وحده لا شَرِيك له ، له المُلك ، وله الحَمْدُ ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ .

رَبِّ أسْأَلُكَ خَيْر ما في هذه الليلة ؛ وَخَيْرَ ما بعدها ، وَأَعوذ بك مِنْ شَرِّ ما في هذه الليلة ؛ وشر ما بعدها .

رَبِّ أعوذ بك من الكَسَل ، وسوء الكِبَرِ .

رَبِّ أعوذ بك من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبر ».

وإذا أصبح قال ذلك أيضاً : « أصبحنا وأصبح الملك لله » كما تقدم . رواه مسلم وغيره .

وعن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « مَنْ قال إذا أصبح وإذا أمسى : رَضِيْنا بالله رباً ، وبالإسلام دِيناً ، وبمحمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلم رسولاً : كان حقاًعلى الله أنْ يُرضيه » رواه أبو داود .

وعن عبد الله بن غَنَّام البَيَاضِيِّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَنْ قال حين يصبح : اللهم ما أَصْبَحَ بي مِنْ نعمة ، أو بأحدٍ مِنْ خلقك ؛ فمنك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد ، ولك الشكر : فقد أدى شكر يومه .

وَمَنْ قال مثل ذلك حين يمسي : فقد أدىٰ شكر ليلته » رواه أبو داود .

وعن شَدَاد بن أوس رضي الله عنه ، أنّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « سَيّدُ الاستغفار أن تقول :

اللهم أَنْتَ ربي لا إلَه إلّا أنت ، خَلَقْتَني وأنا عبدك ، وأنا على عَهْدك وَوَعْدك ما استطعت ، أعوذ بك مِنْ شر ما صَنَعْتُ ، أَبُوْءُ لَك بنعمتك عَلَيَّ ، وأبوء بذنبي ؛ فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلّا أنت » .

قال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَن قالها من النهار موقناً بها ، فمات من يومه قبل أن يمسي : فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها ؛ فمات قبل أن يصبح : فهو من أهل الجنة » رواه البخاري .

وعن عبد الله بن خُبيب رضي الله عنه قال : خرجنا في ليلة مطيرة ، وَظلمة شديدة ، نطلب رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يُصلي لنا ، قال : فأدركته فقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « قل » فلم أقل شيئاً، ثم قال: « قل » فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل» فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال : « قل : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ ، والمعوذتين ، حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء » رواه الترمذي وغيره .

وروى ابن السني بإسناده ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا أصبح قال : « أَصْبَحْنا على فِطْرَةِ الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، وَدِيْنِ نبينا محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وَمِلَّة أبينا إبراهيم ، حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » .

وعن أبان بن عثمان رضي الله عنهما قال : (سمعت عثمان رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ما مِنْ عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يَضُرُّ مَعَ اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم ـ ثلاث مرات لم يضره شيء» وكان أبان قد أصابه طرف فالج، فجعل الرجل ينظر إليه ـ أي : متعجباً كيف أصيب مع دعائه بهذا ـ .

فقال له أبان: ما تنظر، أما إنَّ الحديث كما حَدَّثْتُكَ ، ولكن لم أقله يومئذ ؛ ليُمضي الله تعالى عَليَّ قدره) رواه الترمذي وصححه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من قال حين يصبح ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ أَدْرَكَ ما فاته في

يومه ، وَمَنْ قالها حين يُمسي أدرك ما فاته في ليلته » رواه ابن السني بِعِدَّةِ أسانيد .

وروي أيضاً عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان يقولها ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ .

وعن مَعْقِلِ بن يسار رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من قال حين يُصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر : وَكَّل الله به سبعين ألف ملك يُصَلُّون عليه حتى يمسي ، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً . ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة » ـ أي : كما سبق ـ رواه الإمام أحمد والترمذي .

والآيات الثلاثة هي قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

ما يقول عند النوم وأخذ المضجع

عن البراء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إذا أويت إلى فراشك فقل : اللهم أَسْلَمْتُ نفسي إليك ، وَوَجَّهتُ وجهي إليك ، وأَلْجَأت ظَهري إليك ، رَغْبةً ورهبة إليك ، لا مَلْجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت ؛ فإنك إنْ مِتّ من ليلتك مِتَّ على الفطرة ـ أي : على الدين

الحنيف ـ وإن أصبحت أَصَبْتَ خيراً » متفق عليه .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال : « الحمد لله الذي أَطْعَمَنَا وَسَقَانا ، وَكَفانا ، وآوانا ، فكم مِمّن لَا كافي له ولا مُؤوي » رواه مسلم .

وعن السيدة حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا أراد أن يَرْقُدَ، وضع يده اليمنى تحت رأسه ثم يقول : «اللهم قِني عذابك يَوْمَ تَبْعَثُ عبادك ـ ثلاث مرات» رواه أبو داود .

وعن علي رضي الله عنه ، أن السيدة فاطمة الكبرى رضي الله عنها ، أتت النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم تسأله خادماً ، فلم تجده ، ووجدت السيدة عائشة رضي الله عنها ، فأخبرتها .

قال علي رضي الله عنه : فجاءنا النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وقد أخذنا مضاجعنا ، فقال : « ألا أَدُلُّكُمَا على ما هو خير لكما من خادم؟ ، إِذَا أَخَذْتُما مَضَاجِعَكُمَا : فَسَبِّحَا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين ، فإنه خير لكما من خادم » .

قال علي رضي الله عنه : (فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم) متفق عليه .

قال العلماء : مَن حافظ على هؤلاء الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يُعانيه من شغل ونحوه .

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا أوى إلى فراشه كل ليلة ، جمع كفيه ثم نَفَثَ فيهما فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم يمسح ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه ،

وما أقبل من جسده ـ يفعل ذلك ثلاث مرات) رواه البخاري .

النفث هو : النفخ بقليل من الريق .

وعن أبي مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » ـ أي: من الشرور والشكوك ـ متفق عليه .

وينبغي قراءة آية الكرسي عند المضجع ، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ؛ ولا يقربك شيطان . كما ورد في البخاري .

ما يقول إذا ٱستيقظ من الليل أو تقلب ذات اليمين أو ذات الشمال

عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا استيقظ من الليل قال : « لا إلّه إلا أنت ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك ، اللهم زدني علماً ، ولا تُزِغْ قلبي بعد إذ هديتني ، وَهَبْ لي من لَدُنْك رحمة إنك أنت الوهاب » رواه أبو داود .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إذا نام العبد على فراشه ، أو على مضجعه من الأرض التي هو فيها ، فانقلب في ليله على جنبه الأيمن ، أو جنبه الأيسر ثم قال : لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يُحيي ويميت ، وهو حَيٌّ لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ـ يقول الله عز وجل للملائكة : أُنظروا إلى عبدي هذا لم يَنْسَنِيْ في هذا الوقت ، أُشهدكم أنِّي قد رحمته وغفرت له ذنوبه » رواه ابن السني .

❊ ❊ ❊

ما يقول إذا أراد دخول الخلاء وبعد الخروج منه

يُستحب لمن أراد دخول الخلاء أن يقول : « بسم الله . اللهم إنِّي أَعُوذُ بك من الخُبْثِ والخبائث » .

روىٰ ابن أبي شيبة ، عن علي رضي الله عنه ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « سِتْرُ ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول : بسم الله » .

وفي (الصحيحين) عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول إذا دخل الخلاء : « اللهم إني أعوذ بك من الخُبْث والخبائث » .

ويقول بعد الخروج : « غُفْرانك . الحمد لله الذي أذهب عَنّي الأذىٰ وعافاني » كما رواه ابن السني .

أدعية الوضوء والغسل

روى أبو داود ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « لا صلاة لمن لا وُضُوْءَ له ، ولا وُضُوْءَ لِمَنْ لَمْ يذكر اسم الله عليه » .

وروى الطبراني ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « يا أبا هريرة إذا توضأت فقل : بسم الله ، والحمد لله . فإنّ حفظتك ـ أي : الملائكة الحفظة ـ لا تزال تكتب لك الحسنات ؛ حتى تُحْدِثَ من ذلك الوضوء » .

واستحسن السلف أن يقول عند الوضوء : بسم الله العظيم ؛ والحمد لله على دين الإسلام .

ويستحب أن يقول في أثناء الوضوء: ما رواه النسائي، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وهو يتوضأ، فسمعته يقول: « اللهم اغْفِرْ لي ذَنْبي، وَوَسِّعْ لِيْ في داري، وبارك لي في بَدَني » .

قال: قلت: يا نبي الله لقد سمعتك تدعو بكذا وكذا .

فقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم: « وهل تَرَاهن ـ أي: هذه الدعوات ـ تركن من شيء » .

وفي رواية الترمذي: « وبارك لي في رزقي » فَزِدْها على ذلك .

ويستحب أن يقول بعد الوضوء: ما رواه الترمذي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم: « مَنْ تَوَضَّأَ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين: فُتحت له أبواب الجنة الثمانية؛ يدخل من أيِّها شاء » .

وقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه موقوفاً، وَرُوِيَ مرفوعاً إلى النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال: « مَنْ تَوَضَّأ ففرغ من وضوئه ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أنْ لا إلٰه إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. طُبِعَ عليها ـ أي: على شهادته ـ بطابع، ثم رُفعت تحت العرش، فلم تُكْسَرْ إلى يوم القيامة » .

وأما أدعية الغسل فهي الأدعية التي جاءت في الوضوء من التسمية وغيرها .

❊ ❊ ❊

ما يقول إذا خرج من منزله أو دخله

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « من قال ـ يعني : إذا خرج من بيته ـ : بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله . يقال له حينئذ : هُدِيْتَ ، وَكُفِيْتَ ، وَوُقيت ، وتنحى عنه الشيطان » ـ أي : تباعد عنه ـ رواه الترمذي وأبو داود ، وزاد أبو داود في روايته « فيقول ـ يعني شيطانلآخر ـ : كَيف لَك برجلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ » .

وعن السيدة أم سلمة رضي الله عنها قالت : ما خرج النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم من بيتي قط ، إلا رفع طرفه إلى السماء فقال : « اللهم إني أعوذ بك أن أضِلَّ أو أُضلَّ ، أو أزِلَّ أو أُزَلَّ ، أو أظلم أَوْ أُظلم ، أو أَجْهَلَ أَوْ يُجهل عليَّ » .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « يا بني إذا دَخَلْتَ على أهلك فسلم : تكن بركةٌ عليك وعلى أهل بيتك » رواه الترمذي .

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إذا وَلَج الرجل ـ أي : دخل ـ بيته فليقل : اللهم إني أسألك خير المولَج ، وخير المَخْرج ، بسم الله وَلَجْنا ، وبسم الله خَرجنا ، وعلى الله ربِّنا توكلنا . ثم ليُسَلِّم على أهله » روى هذه الثلاثة أبو داود .

وروى الطبراني بإسناده ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ حين يدخل منزله : نَفَتِ الفقر عن أهل ذلك

المنزل والجيران» .

وَيُستحب إذا دخل بيتاً غير مسكون ـ أي : ليس فيه أحد ـ أن يقول : «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» كما ورد في بلاغات الإمام مالك رضي الله عنه .

ما يقول إذا خرج إلى المسجد

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ما خرج رجل من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إنِّي أَسْألك بِحَقِّ السائلين عليك ، وَبِحقِّ مَمْشاي هذا ؛ فإنِّي لم أخرج أشَراً ، ولا بَطراً ، ولا رِيَاءً ، ولا سُمْعَةً ، خرجتُ اتِّقاء سخطك ، وابتغاء مَرضاتك ، أسألك أنْ تُنقذني من النار ، وَأنْ تغفر لي ذنوبي ؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » . وفي رواية أخرى : « أَسألك أن تُنقذني من النار ، وَتُدخلني الجنة ـ إلّا وُكِّل به سبعون ألف ملك يستغفرون له ، وأقبل الله عز وجل عليه بوجهه حتى يَقْضِيَ صلاته» رواه ابن السني .

وروى مسلم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل قال : فخرج رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إلى الصلاة وهو يقول : «اللهم اجْعل في قلبي نوراً، وفي لِسَاني نوراً ، واجعل في سَمْعي نوراً ، واجعل في بصري نوراً ، واجعل مِنْ خلفي نوراً ، ومن أمامي نوراً ، واجعل مِن فوقي نوراً ، وَمِن تحتي نوراً ، اللهم أعطني نوراً » . وفي رواية : « وعن يميني نوراً ، وعن شمالي نوراً ، ومِنْ بَين يَدَيَّ نوراً ، واجعل في نَفْسِي نوراً ، وأَعْظِمْ لي نوراً » .

ما يقول إذا دخل المسجد وخرج منه

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا دخل المسجد قال : « أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وبسلطانه القديم : من الشيطان الرجيم » ، قال : « فإذا قال ذلك : قال الشيطان : حُفظ مني سائر اليوم » رواه أبو داود .

وعن فاطمة بنت الحسين ، عن جدتها فاطمة الكبرى رضي الله عنهم قالت : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا دخل المسجد : صلىٰ على محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وقال : « رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » وإذا خرج : صلىٰ على محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وقال : « رب اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك » رواه الترمذي .

❊ ❊ ❊

ما يقول عند الأذان والإقامة وبينهما وعند أذان المغرب

عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أنه سمع النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صَلُّوا عَلَيَّ ، فإنّه مَن صلّىٰ عَلَيَّ صلاةً واحدة صلّىٰ الله عَليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنَّها مَنْزِلَةٌ في الجنة لا ينبغي أنْ تكون إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حَلَّتْ له الشفاعة » رواه مسلم وغيره .

وكيفية دعاء الوسيلة كما ورد في البخاري، عن جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رَبَّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ـ وفي رواية البيهقي «إنك لا تخلف الميعاد» ـ إلا حلت له شفاعتي يوم القيامة» .

وروى مسلم ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من قال حين يسمع المؤذن : أشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلم رسولًا : غُفِرَ لَه ذنبه » .

وروى ابن السني ، أنَّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « إذا سمعتم المؤذن يؤذن فقولوا : اللهم افتح أقفال قلوبنا بِذكرك ، وأَتْمِمْ علينا نعمتك مِنْ فضلك ، واْجعلنا من عبادك الصالحين » .

وَيُجيب سامع الأذان والإقامة مثل ما يَسْمَع ، إلا في قوله : حي على الصلاة ، وحي على الفلاح فإنه يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله .

واستحسن جمع من العلماء رضي الله عنهم أنْ يأتي بالحيعلتين وبالحوقلة .

ويقول عند سماع : « الصلاة خير من النوم » : صدقت وَبَرِرْتَ .

ويقول : صدق رسول الله الصلاة خير من النوم .

ويقول عند سماع : قد قامت الصلاة : أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والأرض ، وجعلني من صالحي أهلها .

وكل ذلك وارد في الأحاديث الشريفة .

ويقول أيضاً زيادة على ما سبق عند أذان المغرب ، كما روى الترمذي ، عن السيدة أم سلمة رضي الله عنها قالت : عَلَّمني رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أن أقول عند أذان المغرب : « اللهم هذا إقبال لَيْلِكَ ، وإدْبَار نَهَارِكَ ، وأصوات دُعاتِكَ ، وَحُضُور صلواتكَ : أسألكَ أن تغفرَ لي » .

ثم يدعو بين الأذان والإقامة ، فقد روى الترمذي ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « الدعاء لا يُرد بين الأذان والإقامة » .

قالوا : فماذا نقول يا رسول الله ؟ .

قال : « سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة » .

ما جاء في دعاء الركوع والرفع منه والسجود وبين السجدتين

عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لي » يتأول القرآن ـ أي : يعمل بموجب قوله تعالى : ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ متفق عليه .

وروى مسلم عنها رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول في ركوعه وسجوده : « سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، رَبُّ الملائكة والروح » .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال : « اللهم رَبّنا لك الحمد ملء السموات ، وَمِلءَ الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بَعْدُ ، أهل الثناء والمجد ، أحقُّ ما قال العبد ، وَكُلُّنا لك عبد .

اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا مُعْطِيَ لما مَنَعْتَ ، ولا رادَّ لما قضيت ، ولا ينفع ذا الجَدّ منك الجَدُّ » رواه مسلم .

وروى مسلم ، في حديث علي رضي الله عنه ، عن صلاة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم **إذا ركع يقول في ركوعه** : « اللهم لك رَكَعْتُ ، ولك أسلمتُ ، وبك آمنت ، خشع لك سمعي وبصري ، وَمُخّي وعظمي وعصبي » .

وإذا رفع رأسه من الركوع يقول : « سمع الله لمن حَمِدَهُ ، ربنا لك الحمد ، ملء السموات والأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد » .

وإذا سجد يقول في سجوده : « اللهم لك سَجَدْتُ ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهي للذي خلقه وَصَوَّرَهُ ، وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين » .

وروى مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « أَقْرَبُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ؛ فأكثروا الدعاء » .

وروى عنه أيضاً ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان يقول في سجوده : « اللهم اغْفِرْ لي ذنبي كُلَّهُ : دِقَّهُ وَجِلَّهُ ، وَأَوَّله وآخره ، وعلانيته وسِرّه » .

وروي عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أنها سمعت النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول في سجوده : « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول بين السجدتين : « اللهم اغْفِرْ لي وارحمني واهدني ، وعافني وارزقني » رواه أبو داود .

وفي رواية الترمذي : « واجْبُرْني » بدل « وعافني » وزاد ابن ماجه : « وارْفَعْني » .

الدعاء في آخر الصلاة

روى الشيخان ، أن أبا بكر رضي الله عنه قال لرسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : عَلِّمْني دعاءً أدعو به في صلاتي .

فقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « قل : اللهم إِنِّيْ ظلمت نفسي ظُلماً كثيراً ـ وفي رواية : « كبيراً » ـ ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عِنْدِك ، وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع ـ أي : بعد الصلاة عليه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ـ يقول : « اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فِتْنَةِ المحيا والممات ، ومن شَرِّ فتنة المسيح الدجال » متفق عليه .

وعن علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا قام إلى الصلاة ، يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : « اللهم اغفر لي ما قَدَّمْتُ وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المُقَدِّمُ ، وأنت المؤخر ، لا إلّه إلا أنت » رواه مسلم .

ما جاء عقب الصلوات وعقب صلاة الصبح

عن ثوبان رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا سَلَّمَ ـ أي : من الصلاة ـ يستغفر ثلاثاً ، ويقول : « اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام »[1] رواه مسلم .

---

(١) والأئمة الحنفية يستحبون إلحاق السنة بالفرض ، وأن لا يفصل بينهما بأكثر من : « اللهم أنت السلام » إلى تمام الحديث ، لِمَا ورد في مسلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان ذا سلم لَمْ يقعد إلا مقدار : « اللهم أنت السلام ومنك السلام » الحديث .

وعن كعب بن عُجْرَةَ رضي الله عنه ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « مُعَقِّبات لا يَخيبُ قائِلهُنَّ أو فاعلهن دُبُر كل صلاة : ثلاثٌ وثلاثون تسبيحةً ، وثلاث وثلاثون تحميدة ، وأربع وثلاثون تكبيرة » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ سَبَّحَ الله تعالى في دُبُرِ كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين ؛ فذلك تسعة وتسعون ، وقال تمام المائة : لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير : غُفِرَتْ خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » رواه مسلم .

وفي (الصحيحين) أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان يقول في دُبُرِ كل صلاة إذا سَلَّم : « لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ـ زاد الطبراني « يُحْيِيْ وَيُميت ، وهو حَيٌّ لا يموت ، بيده الخير » ـ وهو على كل شيء قدير . اللهم لا مانع لما أَعطيتَ ، ولا مُعطيَ لما منعتَ ، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجد » .

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة : كان في ذِمَّةِ الله تعالى إلى الصلاة الأخرى » قال العلامة المنذري : رواه الطبراني بإسناد جيد .

وروى أبو داود ، عن عُقبة بن عامر رضي الله عنه قال : (أمرني رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أن أقرأ بالمعوذات دُبُرَ كُلِّ صلاة) .

قال العلامة ابن حجر الهيتمي : المعوذات : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾

والمعوذتان ، وغلَّبَهُمَا عليها لكونهما أكثر .

وروى النسائي : عن معاذ رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أخذ بيده وقال : « يا معاذ والله إني لأحبك » .

فقال له معاذ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، وأنا والله أحبك .

فقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « أوصيك يا معاذ ، لا تَدَعَنّ دُبُرَ كل صلاة أن تقول : اللهم أَعِنِّي على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك » .

ما جاء في دعاء التهجد وعبادة الليل

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « ينزل رَبُّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا ؛ حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : مَنْ يدعوني فأستجيب له ؟ ، من يسألني فأعطيه ؟ ، من يَستغفرني فأغفر له ؟ » متفق عليه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال : « اللهم رَبَّنا لك الحمد ، أنت قَيِّمُ السموات والأرض ومَن فيهنَّ ، ولك الحمد أنت نُور السموات والأرض ومن فيهنَّ ، ولك الحمد أنت مالك السموات والأرض ومن فِيْهِنَّ ، ولك الحمد أنت الحقُّ ، ووعدك الحقُّ ، ولقاؤك الحق ، وقولك حقٌّ ، والجنة حقٌّ ، ومحمدٌ صلّىٰ الله عليه وآله وسلم حقٌّ ، والساعة حق .

اللهم لك أسلمتُ ، وبك آمنتُ ، وعليك توكلتُ ، وإليك أَنَبْتُ ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ ، وما أسررتُ وما أعلنتُ ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المُقَدِّم ، وأنت المُؤَخِّرُ ، لا إلٰه إلا أنت » متفق عليه .

وعن عمرو بن عَبَسَةَ رضي الله عنه ، أنه سمع النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « أقرب ما يكون الربُّ مِنَ العَبْدِ في جوف الليل ، فإنِ اسْتَطَعْتَ أن تكون مِمَّنْ يذكر الله في تلك الساعة فَكُنْ » رواه الترمذي وصَحَّحَهُ .

وَيُذكر عن أنس رضي الله عنه قال : (أُمِرنا أَنْ نستغفر بالليل سبعين استغفارة) .

* * *

ما جاء في الاستخارة

في (سنن) الترمذي ، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « مِنْ سَعادة ابن آدم كثرة استخارة الله ، ورضاه بما قَضىٰ الله ، وَمِنْ شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ، وسخطه بما قضى الله » .

وعن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يُعَلِّمنا الاستخارة في الأمور كُلِّها كَمَا يُعَلِّمنا السورة من القرآن ، يقول : « إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل :

اللهم إنِّي أَسْتَخيرك بعلمك ، وأَسْتَقْدرك بقدرتك ، وأسألك من فَضْلك العظيم ، فإنَّك تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ ، وَتَعلم ولا أعلمُ ، وأنت عَلاّم الغيوب .

اللهم إنْ كنت تعلم أَنَّ هذا الأمر خَيْرٌ لي في ديني ، ومعاشي ، وعاقبةِ أمري ـ أو قال : « عاجل أمري وآجله » ـ فَاقْدره لي ، وَيَسِّرْهُ لي ، ثم بارك لي فيه . وإن كنت تعلم أَنَّ هذا الأمر شَرٌّ لي في ديني ، ومعاشي ، وعاقبة أمري ـ أو قال : « عاجل أمري وآجله » ـ فَٱصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقْدُر لي الخير حيث كان ، ثم رَضِّنِيْ به » .

قال : « ويسمي حاجته » رواه البخاري .

وفي (سنن) الترمذي ، أنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا أراد الأمر قال : « اللهم خِرْ لِيْ واخْتَرْ لي » .

وهذا لا ينافي الدعاء السابق ، بل يدعو به أيضاً .

وَيُسْتَحَبُّ افتتاح دعاء الاستخارة وخَتمه بالحمد لله تعالى ، والصلاة والتسليم على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، مستقبل القبلة ـ كما هو سنة الدعاء ـ وأن يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وسورة الكافرون ، وفي الثانية فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص .

واستحب جَمع من المحدثين والعارفين رضي الله عنهم : أن يقرأ في الركعة الأولى قبل سورة الكافرون : آية القصص ـ قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

ويقرأ في الركعة الثانية قبل سورة الإخلاص : آية الأحزاب : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ .

قال بعض العارفين رضي الله عنه : يفعل ذلك ـ أي : الاستخارة على الوجه السابق ـ في كل حاجة مُهِمَّةٍ يريد فعلها وقضاءها ، ثم يشرع في حاجته ، فإن كان له فيها خِيْرة عند الله تعالى يَسّرَ له أسبابها ، إلى أن تحصل ، فتكون عاقبتها مَحمودة ، وإنْ تعذر شيء من أسبابها عَلَيه ، ولم يَتَّفِقْ تحصيلها بيسر ، فلا يضاد القدر ، وَيَعْلَمُ أنه لو كان فيها خِيرة عند الله تعالى ما تعذرت أسبابها ، فيعلم أن الله تعالى قد اختار له تركها ، فلا يتألم لذلك ، وسيَحمد عاقبة تركها اهـ .

وقال الإمام النووي رضي الله عنه : وإذا استخار مضىٰ بعدها لما ينشرح له صدره والله أعلم اهـ .

وإذا لم يَتَّضِحْ له شيء يُكَرِّرُها ، فقد روى الديلمي وابن السني ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « يا أنس إذا هَمَمْتَ بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ، ثم انظر إلى الذي سَبَقَ إلى قلبك ؛ فإن الخير فيه » .

ثم إن الاستخارة هي طلب الخِيرة في الأمر ، فقد يكشف الله تعالى لك عن الخيرة كشفاً قلبياً ، فينشرح صدرك لذلك الأمر ، وقد يَتَّجِهُ قلبك لوجه من الوجوه ؛ بسبب شُغله في أمور أخرى ، أو بسبب ضيق في الوقت ، أو عدم وجود المناسبات الكاشفة لقلبك عن الأمر الذي استخرت الله تعالى فيه فحينئذ قد يُجليه الله تعالى ويكشفه لك في عالم المنام ، ولذلك قال صاحب (شِرْعَةُ الإسلام) في فصل فضيلة النوافل : ثم إنّ المسموع من المشايخ أنه ينبغي أن ينام على الطهارة ، مستقبل القبلة بعد قراءة الدعاء المذكور ، فإن رأى في منامه بياضاً أو خضرة ؛ فذلك الأمر خير . وإن رأى فيه سواداً أو حمرة فهو شر ، ينبغي أن يجتنب عنه اهـ .

وقال بعض العارفين رضي الله عنه : وينبغي لأهل الله تعالى أن يُصلُّوا صلاة الاستخارة في وقت معين ، يُعَيِّنُوْنَه من ليل أو نهار ، في كل يوم ، فإذا قالوا الدعاء بعد السلام من الركعتين ـ أي : بعد صلاة ركعتي الاستخارة ، وقراءة الدعاء الوارد في الحديث كما تقدم ـ يقولون في الموضع الذي أُمر يُسمي حاجته ـ أي : حينما يصل في الدعاء إلى قوله : « اللهم إن كنت تعلم أنّ هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي ـ يقول : اللهم إن كنت تعلم أنَّ جميع ما أتحرك فيه في حَقِّي ، وفي حق غيري ، وجميع ما يتحرك فيه غيري في حقي ، وفي حق أهلي وولدي ، وما مَلَكَتْ يميني : خير لي في ديني ، ودنياي ، وعاجل أمري وآجله ، من

ساعتي هذه إلى مثلها من اليوم الآخر : فيسره لي ، واقدره لي ، وأرحني به .

وإن كنت تعلم أنَّ جميع ما أتحرك فيه في حقي ، وفي حق غيري ، وجميع ما يتحرك فيه غيري في حقي ، وحق أهلي وولدي ، وما مَلَكَتْ يميني ، من ساعتي هذه ، إلى مثلها من اليوم الآخر : شر لي في ديني ، ودنياي ، وعاجل أمري وآجله : فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به .

قال الشيخ رضي الله عنه : فإذا فعل ذلك فما يتحرك بحركة ، ولا يُتَحَرَّك في حقه بحركة : إلا كان فيها خير مُحَقَّقٌ ، فعلاً أو تركاً ، جَرَّبْتُ هذا .

فعليك يا أخي أن تُعَيِّنَ وقتاً خاصاً أول النهار ، أو بعد صلاة الظهر ، أو بعد صلاة المغرب ، أو بعد صلاة العشاء ، وتصلي ركعتي الاستخارة ، ثم تدعو بما تقدم ، وواظب على ذلك كل يوم ، فإنَّ فيه خيراً كثيراً .

صلاة الحاجة ودعاؤها

روى الترمذي وغيره ، عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه ، أنَّ رجلاً ضريراً أتى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم فقال : ادع الله تعالى أن يعافيني .

قال : « إن شئتَ دعوتُ ، وإن شئتَ صبرتَ فهو خير لك » قال : فادعه ـ أي : ادع الله تعالى ـ .

فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ، ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بنبيك محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة ، يا مُحَمَّدُ إنّي توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لِتُقْضَىٰ لي ؛ اللهم فشفعه فِيَّ » .

وفي رواية النسائي : فتوضأ ثم صَلّى ركعتين ـ أي : ثم دعا ـ .

وفي الترمذي وغيره ، عن ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يوماً فقعد وقال : « مَنْ كانت له حاجة إلى الله تعالى ، أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ ، وليحسن الوضوء ، ثم ليصل ركعتين ، ثم لِيُثْن على الله عز وجل ، وليصل على النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، ثم ليقل : لا إلّه إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، أسألك مُوْجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بِرٍّ ، والسلامة من كل إثم : لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ، ولا هماً إلا فَرَّجْتَهُ ، ولا حاجة هِيَ لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين » .

وفي حاشية (الدر) عن (التجنيس) : إنّ صلاة الحاجة أربع ركعات بعد العشاء ، وإنّ في الحديث المرفوع : « يقرأ في الأولى الفاتحة مرة وآية الكرسي ثلاثاً وفي كلٍّ من الركعات الثلاث الباقية يقرأ الفاتحة والإخلاص والمعوذتين مرة مرة . كُنَّ له مثلهن من ليلة القدر » .

قال مشايخنا : صلينا هذه الصلاة فَقُضِيَتْ حوائجنا اهـ .

* * *

صلاة التسبيح وأذكارها

روى أبو داود وغيره ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم للعباس رضي الله عنه : « يا عباس ، يا عماه ، ألا أُعْطِيك ؟ ألا أمنحُك ؟ ؛ ألا أَحْبُوك ؟ ألا أفعل لك عَشر خصالٍ إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك : أَوَّلَهُ وآخره ، قديمه وحديثه ، خطأه وعمده ، صغيره وكبيره ، سِرّه وعلانيته . عشر خصال : أن تُصَلي أربع ركعات ، تقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة ، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة فقل وأنت قائم : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلٓه إلا الله ، والله أكبر ـ خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقول وأنت راكع عشراً ـ أي : بعد تسبيحات الركوع ـ ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً ، ثم تهوي ساجداً فتقول وأنت ساجد عشراً ـ أي : بعد تسبيحات السجود ـ ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ، ثم تسجد فتقولها عشراً ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة ، تفعل ذلك في أربع ركعات ، إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل ، فإن لم تفعل ففي كل جمعة مَرَّةً ، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة ، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة ، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة » .

وَقَد رُويَ هذا الحديث بروايات مختلفة ، وأسانيد متعددة ، يُقَوِّي بعضها بعضاً ، ولذلك قال بعض المحققين : لا يسمع بعظيم فضلها ويتركها إلا متهاون بالدين .

وقيل لابن عباس رضي الله عنهما : هل تعلم لهذه الصلاة سورة ؟

ـ أي : يستحب قراءتها فيها ـ .

فقال : التكاثر ، العصر ، الكافرون ، والإخلاص .

* * *

صلاة التوبة من الذنب

روى أصحاب السنن ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « ما من رجل يُذنب ذنباً ، ثم يقوم فيتطهر ، ثم يصلي ـ وفي رواية البيهقي « ركعتين » ـ ثم يستغفر الله : إلا غفر الله له » ثم قرأ هذه الآية : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وينبغي أن يتحقق مع الاستغفار بشروط التوبة : الندم على ما فعله ، والإقلاع عنه ، والعزم على أن لا يعود لمثله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

* * *

ما يُقَالُ لرفع الكَرْب والهم والحَزَن ويشرح الصدر

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان يقول عند الكرب : « لا إِلَه إلا الله العظيم الحليم ، لا إِلَه إلا الله رب العرش العظيم ، لا إِلَه إلا الله ربُّ السموات وربُّ الأرض ربُّ العرش الكريم » متفق عليه .

وفي الترمذي، عن أنس رضي الله عنه أَنَّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا حَزَبه أمر ـ أي : أهمه ـ قال : « يا حَيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث » .

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا أَهَمَّه الأمر ، رفع رأسه إلى السماء فقال : « سبحان الله العظيم » وإذا اجتهد في الدعاء قال : « يا حي يا قيوم » .

وعن أبي بكر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « دعوات المكروب : اللهم رَحْمَتَك أرجو ؛ فلا تَكِلْني إلى نفسي طَرْفَةَ عين ، وأصلح لي شأني كُلَّه ، لا إِلَه إلا أنت » رواه أبو داود .

وعن أسماء بنت عُميس رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ألا أُعَلِّمُكِ كلمات تقولِيْنَهن عند الكرب ، أو في الكرب : الله ، الله ربي لا أشرك به شيئاً » وفي رواية تقال : « سبع مرات » رواه أبو داود .

ومن أدعية رفع البلاء والكروب : دعوة ذي النون عليه الصلاة والسلام :

ففي الترمذي ، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « دعوة ذي النون إذ دعا في بطن الحوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لم يَدْعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا ٱستجيب له » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « ما أصاب عبداً هَمٌّ ولا حَزَنٌ فقال : اللهم إنِّي عبدك ، وابن عَبدك ، وابنُ أمتك ناصيتي بيدك ، ماضٍ فِيَّ حُكمك ، عدلٌ فِيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هُوَ لك ، سَمَّيْت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو عَلَّمْتَهُ أحداً من خلقك ، أوِ استأثرت به في مكنون الغيب عندك : أنْ تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور بَصَري ، وَجَلاء حزني ، وذهاب هَمِّي ـ إلا أذهب الله حُزنه ، وهمه ، وأبدل مكانه فرحاً » رواه الإمام أحمد في (المسند) وابن حبان وغيرهما .

ومعنى : « استأثرت » أي : انفردت بعلمه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من قال : لا حول ولا قوة إلا بالله : كانت له دَواءً مِنْ تسعة وتسعين داءً أيسرها ٱلْهَمُّ » رواه الحاكم بإسناد صحيح ، والطبراني .

ما يقول للحفظ من الفالج والعمى ونحوه

عن قَبيصة رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فقال : « يا قَبِيْصَةُ ما جاء بك » ؟ قلت : كبرت سني ، وَرَقَّ عظمي ، فأتيتك لتعلمني ما ينفعني الله تعالى به .

فقال : « يا قبيصة ما مَرَرْت بحجر ولا شجر ولا مَدَرٍ ؛ إلا استغفر لك .

يا قبيصة إذا صليت الصبح فقل ثلاثاً : سبحان الله العظيم وبحمده . تُعاف من العمىٰ والجذام والفلج .

يا قبيصة قل : اللهم إني أسألك مما عندك ، وأفض عَلَيَّ من فضلك ، وانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رحمتك ، وَأنزل عَلَيّ من بركاتك » رواه الإمام أحمد .

ما يقول إذا وقع في وَرْطَة
أو أصيب بمصيبة صغيرة أو كبيرة

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ ﴾ أي : صغيرة أو كبيرة ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « لِيَسْتَرْجع أَحدُكم في كل شيء ، حتى في شِسْعِ نعله ، فإنها من المصائب » رواه ابن السني .

ومعنى الاسترجاع هو أن يقول : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ والمعنى : ينبغي أن يسترجع في كل مصيبة : كبرت أو صغرت . كانقطاع سَير النعل .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « ما من مسلم تُصيبه مُصِيْبَةٌ فقال ما أمره الله تعالى : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ اللهم أَجِرْني في مصيبتي ، واخلف لي

خيراً منها : إلا أخلف الله له خيراً منها » .

قالت : (فلما مات أبو سلمة رضي الله عنه ـ أي : زوجها ، قبل زواجها برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ـ قلت : أَيُّ المسلمين خَير من أبي سلمة ؛ أوَّل بيت هاجر إلى رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، ثم إني قلتها ، فَأخلف الله تعالى لي رسولَ الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فأرسل يخطبني إليه) الحديث ـ أي : ولا أفضل من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ـ .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « يا عليُّ ألا أعلمك كلمات تقولها إذا وقعت في ورطة » ؟ .

قلت : بلى جعلني الله فداك يا رسول الله .

قال : « إذا وقعت في ورطة فقل : بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ فإنّ الله تعالى يَصرف بها ما شاء من أنواع البلاء » رواه ابن السني والطبراني ـ الورطة : الهلاك ـ .

وذكر ابن إسحاق أنَّ عوف بن مالك رضي الله عنهما لما أسره المشركون ، جاء أبوه مالك إلى رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فذكر له ذلك .

فقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « أرْسِل إليه ، إنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يأمرك أَنْ تُكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وكان المشركون قد شدوه وربطوه بالقِدِّ ـ رباط من الجلد ـ .

فلما قال ما أمره به النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم سقط عنه القِدُّ ، ولم يشعروا به ، ثم ذهب راجعاً إلى أهله ـ القصة .

ما يقال لجلب الرزق
وسعة العيش ودفع الضيق

١ ـ كثرة الاستغفار . قال الله تعالى خبراً عن نوح صلّىٰ الله وسلم على نبينا وعليه : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾ .

ولهذا رُوِيَ أنَّ عمر رضي الله عنه صعد المنبر يوماً لِيَسْتَقِيَ لهم ، فلم يزد على الاستغفار ، وقراءة الآيات في الاستغفار ـ ومنها هذه الآيات السابقة ـ ثم قال لهم : لقد طلبت الغيث بِمَخَارِج السَّماء التي يُستنزل بها المطر .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَنْ أكثر من الاستغفار : جعل الله له مِنْ كُلِّ هَمٍّ فرجاً ، وَمِن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » رواه الإمام أحمد .

٢ ـ حسن التقوى ، والصدق في التوكل على الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ .

وفي حديث الطبراني ، عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق على أن يطلبه بمعصية الله تعالى ، فإنَّ الله لا ينال ما عنده ـ أي : من الخير ، والرزق الحسن ـ إلا بطاعته » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « لو أَنَّكُمْ تَتوَكَّلون على الله حق تَوَكُّلِهِ : لرزقكم كما يرزق

الطير ، تَغْدُو خِمَاصاً ، وَتَرُوْحُ بِطَاناً » أي : وليست الطير بأكرم على الله من ابن آدم ، فإنَّهُ لو صدق في توكله عندما يتعاطى الأسباب المشروعة : لَرَزَقه الله ، ووفقه الله ، كما رزق الطير لما عَمِلَتْ بأسبابها الممكنة اللائقة ، مِنْ ذهابها صباحاً ، ورواحها مساءً ، صادقة في توكلها على خالقها سبحانه .

٣ ـ المواظبة على سورة الواقعة كل ليلة ، فقد ذَكَر الحافظ ابن عساكر ، في ترجمة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أنَّه لما مَرِضَ مَرَضَ الوفاة ، دخل عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه ليعوده ، فقال له عثمان رضي الله عنه : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي .

قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي .

قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضني .

فقال له عثمان رضي الله عنه : ألا آمر لك بعطاء .

قال : لا حاجة لي فيه .

قال : يكون لبناتك مِنْ بَعْدِك .

قال : أتخشى على بناتي الفقر ؟ إنِّي أَمرت بناتي يَقرأن كُلَّ ليلة سورة الواقعة ، إنِّي سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « مَنْ قَرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تُصِبْهُ فاقَةٌ أبداً » الفاقة هي : الفقر .

٤ ـ الإكثار من الصلاة على النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فإنها مِفتاح الخيرات والبركات ، وباب المبرات والسعادات ، تكفيك كل غُمَّةٍ ومُهِمَّةٍ ، وتكشف كل فاقة وَمُدْلهمة .

روى الترمذي ، عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال : كان رسول الله

صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : « يا أيها الناس أذكروا الله أذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » .

قلت : يا رسول الله إنِّي أُكْثِرُ الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ـ أي : في مجالسي الخاصة للدعاء ـ .

قال : « ما شئت » .

قلت : الربع ؟ .

قال : « ما شئت فإن زدت فهو خير لك » .

قلت : النصف ؟ .

قال : « ما شئت فإن زدت فهو خير لك » .

قلت : فالثلثين ؟ .

قال : « ما شئت فإن زدت فهو خير لك » .

قلت : أجعل لك صلاتي كلها .

قال : « إذن تُكفىٰ هَمَّك ، وَيُغفر لك ذنبك » .

وسيأتي الكلام على فضائل الصلاة على النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم مُفصلاً إن شاء الله تعالى .

وروى ابن السني ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « ما يمنع أحدكم إذا عَسُرَ عليه أَمْرُ معيشته أنْ يقول إذا خرج من بيته : بسم الله على نفسي ومالي وديني ، اللهم رَضِّني بقضائك ، وبارك لي فيما قُدِّرَ لي ، حتى لا أُحِبَّ تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عَجَّلْتَ » .

ما يقول إذا خاف قوماً

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أنّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا خاف قوماً قال : « اللهم إنا نَجْعَلُكَ في نُحُورهم ، ونعوذ بك من شرورهم » رواه أبو داود .

ويقول : « اللهم اكْفِنَاهُمْ بما شئت » فقد دعا به صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يوم الهجرة .

ما يقول إذا خاف سلطاناً وذا شوكة

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إذا تَخَوَّفْتَ مِنْ أَحَدٍ شيئاً فقل : اللهم رَبَّ السموات السبع وما فيهن ، ورب العرش العظيم ، وَرَبَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل : كُن لي جاراً مِنْ عبدك فلان وأشياعه ، أن يَطغَوا عليَّ ، وأن يفرطوا علي ، عَزَّ جارك ، وجل ثناؤك ، ولا إلٓه إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك » رواه الطبراني .

ما يقول إذا استصعب عليه أمر

عن أنس رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعل الحَزْنَ إذا شئت سهلاً » رواه ابن السني .

قال الإمام النووي رضي الله عنه : الحَزْنُ بفتح الحاء وإسكان الزاي غليظ الأرض وخشنها . اهـ .

ما يقول إذا رأى نعمة عليه أو على غيره حفظاً من آفة العين وسائر الآفات

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ الآية .

فينبغي لِمَنْ دخل داراً ، أو بستاناً ، أو رأى ما يُعجبه في نفسه ، أو غيره ، أو في ماله ، أو مال غيره : أن يبادر إلى هذه الكلمة ، فإنَّه لا يرى فيه سوءاً .

روى ابن السني ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ما أنعم الله عز وجل على عبد نِعْمَةً في أهل ومال وولد فقال : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ؛ فيرى فيها آفة دون الموت » .

ومعنى ما شاء الله : أيْ ما شاءه الله كان ـ بمعنى : وُجِدَ ـ .

ما يقول إذا كان عليه دين وعجز عنه

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : دخل رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ذات يوم المسجد ، فإذا هو برجل من الأنصار يُقال له أبو أمامة، فقال : « يا أبا أمامة مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة » .

فقال أبو أمامة : هُمُوْمٌ لزمتني ، وديون يا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

فقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ألا أعلمك كلمات إذا قُلْتَهُنَّ أذهب الله عنك هَمَّك ، وقضى دينك » ؟ .

قال : قلت : بلى يا رسول الله .

فقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إني أعوذ بك من الهَمِّ والحَزَنْ ، وأعوذ بك من العَجْز والكسل ، وأعوذ بك من الجُبْنِ والبخل ، وأعوذ بك مِنْ غَلبة الدين وقهر الرجال » .

(قال أبو أمامة رضي الله عنه : فقلت ذلك ، فأذهب الله عني غمي ، وقضى دَيْني) رواه أبو داود .

ومعنى غلبة الدين : كثرة الدين .

ما يقول مَنْ يَفزع في منامه أو لا ينام الليل من الأَرَق والقَلَق

عن الإمام مالك رضي الله عنه ، أنه بَلغه : أنَّ خالد بن الوليد رضي الله عنه قال لِرسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : إني أُرَوَّعُ في منامي ـ أي : أفزع وأُخَوَّفُ في منامي ـ .

فقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « قل : أعوذ بكلمات الله التامَّة مِنْ غضبه ، وعقابه ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون » ورواه أبو داود والترمذي وَحَسّنه وقال : كان عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله عنهما يُعلِّمُهُنَّ مَنْ عَقل مِن بنيه ، ومن لم يَعْقِلْ كَتَبَه فعلقه عليه .

ومعنى همزات الشياطين : نخسها وغمزها .

وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال : شكا خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ما أنام الليل من الأَرَقِ .

فقال له النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إذا أَوَيْتَ إلى فراشك فقل : اللهم رب السموات السبع وما أَظَلَّتْ ، وربَّ الأرضين وما أقلت ، وربَّ الشياطينِ وما أضلت : كن لي جاراً من شَرِّ خلقك كلهم جميعاً ، أن يفرط عليَّ أحدٌ ، أو أنْ يَبغي عَلَيَّ ، عَزَّ جارك ، وَجَلَّ ثناؤك ، ولا إلٰه غيرك ، لا إلٰه إلا أنت » رواه الترمذي .

ما يقول من ابتلي بالوسوسة في العمليات والمعتقدات

قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

قال الإمام النووي رضي الله عنه : فأحسن ما يقال ما أدبنا الله تعالى به ، وأمرنا بقوله . اهـ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول : مَنْ خَلَقَ كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خَلَقَ رَبَّك ؟ فإذا بلغ ذلك : فليستعذ بالله وَلْيَنْتَهِ » متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ فَمَنْ خَلق الله ؟ فَمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت بالله وَرُسُله » رواه مسلم وغيره .

وفي رواية لأبي داود ، فإذا قال ذلك فقولوا : ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ثم

ليتفل عن يساره ثلاثاً ، وليستعذ من الشيطان » .

قال الإمام النووي رضي الله عنه : قال بعض العلماء : يستحب قول لا إلّه إلا الله لمن ابتلي بالوسوسة في الوضوء ، أو في الصلاة أو في شبههما ، فإنَّ الشيطان إذا سَمع الذكر خَنَس ـ أي : تأخر وبعد ـ ولا إلّه إلا الله رأس الذكر ، ولذلك اختار السادة الأجلة من صفوة هذه الأمة ، أهل تربية السالكين ، وتأديب المريدين ، قول : لا إلّه إلا الله لأهل الخلوة ، وأمروهم بالمداومة عليها ، وقالوا : أنفع علاج في دفع الوسوسة : الإقبال على ذكر الله تعالى ، والإكثار منه . انتهى كلام النووي رضي الله عنه .

ولذلك جاء في الحديث الذي رواه الترمذي ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله تعالى خَنَس ، وإذا غفل وَسْوَسَ » .

* * *

ما يقول إذا وجد وجع ضِرْسٍ أو أُذُن

عن علي رضي الله عنه أنه قال : مَنْ قال عند كل عطسة : (الحمد لله رب العالمين على كل حال ما كان : لم يجد وجع ضرس ولا أُذُنٍ أبداً) رواه ابن أبي شيبة في (مصنفه) موقوفاً عليه كرم الله تعالى وجهه .

قال شارح (العدة) : يحتمل أن يكون ذلك لشيء حفظه عن

النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وأن يكون ذلك مُستَنداً إلى التجريب ، وورد في بعض الآثار ما يؤيد الأول .

رُقْيَةُ من أُصيب بالعين

قال تعالى : ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ ﴾ وقال خبراً عن يعقوب عليه السلام : ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ تخوفاً عليهم أَنْ تستكثرهم عين الناظر .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنَّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « العين حَقٌّ ، ولو كان شيء سابَقَ القَدَرَ لَسَبَقَتْهُ العين ، وإذا اسْتُغْسِلْتم فاغتسلوا » رواه مسلم .

وروى النسائي ومالك، أنَّ سهلاً رضي الله عنه اغتسل، فنزع جبة كانت عليه ، وعامر بن ربيعة رضي الله عنه ينظر إليه ـ وكان سهل شديد البياض ، حسن الجِلْدِ ـ فقال عامر : ما رأيت كاليوم ولا جِلْدَ مُخَبَّأة عذراء ، فَوُعِكَ سهل مكانه ، فاشتد وجعه ، فَأُخْبِرَ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فقال : « هل تَتَّهِمُون به أحداً » ؟ .

فقالوا : عامر بن ربيعة ، فدعاه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فتغيظ عليه وقال : « عَلاَمَ يَقْتُلُ أحدُكم أخاه ، ألا بَرَّكت . اغتسل له » فَغَسل عامر وجهه، ويديه ، ومرفقيه، وركبتيه ، وأطراف رجليه ، وداخل إزاره في قدح ، ثم صَبّ ذلك الماء عليه رَجل مِن ورائه ؛ فَبَرِأ من ساعته .

وفي رواية أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ضرب صدر سهل ثم قال : « بسم الله ، اللهم أذهب حَرَّها ، وبردها ، وَوَصَبَهَا » ثم قال : « قم بإِذن الله » .

رُقية الدابة التي أُصيبت بِعَيْن

عن ابن مسعود رضي الله عنه (إن كانت دابة ـ أي : المصابة بالعين إنْ كانت دابة ـ نفث في مَنخرها الأيمن أربعاً ، وفي الأيسر ثلاثاً ، وقال : لا بأس ، أذهب البأس رَبَّ الناس ، اشْفِ أنت الشافي ، لا يكشف الضر إلا أَنت) رواه ابن أبي شيبة في (مصنفه) موقوفاً على ابن مسعود رضيّ الله عنه .

ما يُعَوَّذ به الصبيان وغيرهم

في البخاري ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يُعَوِّذ الحسن والحسين ويقول : « أُعِيْذُكما بكلمات الله التامَّةِ ، مِنْ كل شيطانٍ وهامّة ، وَمِن كل عَين لامّة » ويقول : « إنّ أباكما إِبراهيم كان يُعَوِّذُ بهما إسماعيل وإسحاق » .

الهامّة هي : كل ذات سُمٍّ تقتل ، كالحية وغيرها ، وقد تطلق على كل حيوان يَدب على الأرض وإن لم يقتل : كالحشرات ونحوها .

والعين اللامة هي : التي تُصيب ما نَظَرتْ إليه بسوء . عياذاً بالله تعالى .

ما يقول إذا طنت أذنه

روى ابن السني ، عن أبي رافع رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني ، وليصلِّ عَلَيَّ ، وليقل : ذكر الله بخير من ذكرني » .

ورواه الطبراني والحكيم الترمذي ، وَبَيَّنَ أنّ طنين الأذن هو من تأثيرات

الروح في الجسم ؛ بسبب التقائها بروح أخرى ، أو اشتمامها إياها .

ما يقول إذا خَدِرَتْ رجله

عن الهيثم بن حَنَشٍ قال : كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، فخدرت رجله ، فقال له رجل : أُذكر أحب الناس إليك ، فقال : يا محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلم . فكأنما نَشِطَ مِنْ عِقَال .

وعن مجاهد قال : خَدِرَت رِجْلُ رَجُلٍ عند ابن عباس رضي الله عنهما ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : أُذكر أَحبَّ الناس إليك . فقال : محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلم . فذهب خَدَرُهُ .

ما يقول إذا رأى مبتلى

عَن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَنْ رأى صاحب بلاء فقال : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، وفَضَّلَني على كثيرٍ مِمَّنْ خَلَق تفضيلا : عُوْفِيَ مِنْ ذلك البلاء ، كائناً ما كان ما عاش » ـ أي : مدة حياته ـ رواه الترمذي .

ما يقول إذا سمع الرعد والصواعق

روى الترمذي ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أنَّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا سمع الرعد والصواعق يقول : « اللهم لا تَقْتلنا بغضبك ، ولا تُهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك » .

وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث ـ أي : الكلام مع الناس ـ وقال : (سبحان الذي يُسَبِّح الرعد بحمده والملائكة من خِيْفَتِهِ) .

وعن كعب : أنه مَنْ قال ذلك ثلاثاً : عُوفي من ذلك الرعد ـ أي : لم يصبه منه سوء ـ .

ما يقول إذا رأى الهلال

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا رأىٰ الهلال قال : « الله أكبر ، اللهم أهِلَّهُ عَلَينا بالأمن والإيمان ، والسّلامة والإسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى . رَبُّنا وَرَبُّك الله » رواه الدارمي . قوله : « وربك » خطاب للهلال .

وفي (سنن) أبي داود ، عن قتادة أنه بلغه : أَنَّ نبي الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا رأى الهلال قال : « هلال خَيْرٍ وَرُشْدٍ . آمنت بالله الذي خلقك ـ ثلاث مرات » ثم يقول : « الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا ، وجاء بشهر كذا » وهذه الأدعية عامة في رؤية كل هلال ؛ شهر الصيام أو غيره .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا دخل رجب قال : «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وَبَلِّغنا رمضان» رواه ابن السني وغيره .

ما يقول إذا هاجت الريح

عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا عَصَفَتِ الريح قال : « اللهم إني أسألك خيرها ، وخير ما فيها ، وخير ما أُرسلت به ، وأعوذ بك من شرها ، وشر ما فيها ، وشر ما أُرسلت به » رواه مسلم .

ما يقول إذا رأى سحاباً

عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا رأى ـ ناشئاً سحاباً ـ مقبلاً في أُفُقِ السماء ، تركَ ما هو فيه ؛ وإن كان في صلاة غير الفريضة حتىٰ يستقبله فيقول : « اللهم إنا نعوذ بك من شَرِّ ما أرسلت به » فإنْ مُطِرَ قال : « اللهم صَيِّباً نافعاً » وإن كشفه الله ولم يُمطر : حمد الله على ذلك . رواه النسائي وغيره . الصَّيِّبُ هو : المطر الكثير .

ما يقول إذا نزل المطر

عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أنَّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا رأى المطر قال : « اللهم صَيِّباً نافعاً » رواه البخاري ، وفي رواية ابن ماجه : « اللهم صيباً نافعاً ـ مرتين أو ثلاثاً ـ » .

الصَّيِّبُ هو : المطر الجاري .

وينبغي الدعاء عند نزول الغيث فإنه مستجاب كما ورد في الحديث .

ما يقول إذا خاف الضرر من كثرة المطر

في البخاري ، عن أنس رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله هلكت المواشي ، وانقطعتِ السُّبُلُ ، فادع الله .

فدعا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فَمُطِروا مِنْ جمعة إلى جمعة .

فجاء رجل إلى رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله تهدمت البيوت ، وتقطعت السبل ، وهلكت المواشي ـ وفي رواية فادع الله يمسكها ـ .

فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظِّرَاب ، وبطون الأودية ، ومنابت الشجر » .

قال : فانقلعت ، وخرجنا نمشي في الشمس .

الآكام جمع أَكَمَة وهي : ما ارتفع من الأرض . **والظراب** هي : الجبال الصغار .

أذكار كسوف الشمس والقمر

قال الإمام النووي رضي الله عنه : اِعلم أَنَّه يسن في كسوف الشمس والقمر الإكثار من ذكر الله تعالى ، ومن الدعاء ، وتسن الصلاة له بإجماع المسلمين . روينا في (صحيحي) البخاري ومسلم ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أنَّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا يُخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله تعالى ، وكبروا ، وتصدقوا » .

وفي بعض الروايات في صحيحيهما : « فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى » .

ثم ذكر من رواية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكره ، ودعائه ، واستغفاره » اهـ .

ويستحب إطالة القراءة في صلاة الكسوف كما هو مفصل في كتب الفقه .

ما يقول إذا رأى الحريق

روى ابن السني بإسناده ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال: «إذا رأيتم الحريق فكبروا؛ فإنَّ التكبير يطفئه» .

وفي (مسند) أبي يعلى وغيره ، عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « أطفئوا الحريق بالتكبير » .

قال العلماء : هذا مجرب .

ما يقول إذا سمع صوت الديك ونهيق الحمار ونباح الكلب

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « إذا سمعتم نَهيق الحمار : فتعوذوا بالله من الشيطان ؛ فإنه رأى شيطاناً . وإذا سمعتم صياح الديكة : فاسألوا الله من فضله ؛ فإنها رأت ملكاً » متفق عليه .

وروى النسائي وغيره ، عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل : فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم ؛ فإنهن يرين ما لا ترون » .

ما يقول إذا غضب

قال تعالى : ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « ليس الشديد بالصُّرْعَةِ ، إنَّما الشديد الذي يَملك نفسه عند الغضب » متفق عليه .

والمعنى : إن الشجاعة ليست بصرعك الآخر ؛ بل بكبح نفسك وإمساكها عند الغضب .

وقال سليمان بن صُرَدٍ رضي الله عنه : كنت جالساً مع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، ورجلان يستبان ، وأحدهما قد احمر وجهه ، وانتفخت أوداجه ، فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إنِّي لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ذهب عنه ما يجد » متفق عليه .

وعن عطية بن عروة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إنّ الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خُلِقَ من نار ، وإنما تُطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » رواه أبو داود .

* * *

أذكار الطعام والشراب

روى ابن السني ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول في الطعام إذا قُرِّبَ إليه : « اللهم بارك لنا فيما رزقتنا ، وقنا عذاب النار ، بسم الله » .

وروى أبو داود ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أَوَّلِهِ ، فإنْ نَسِيَ أَنْ يذكر اسم الله تعالى في أوّله فليقل: بسم الله أوّله وآخره » .

وروى الترمذي ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يأكل طعاماً مع ستة من أصحابه ، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين ، فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « أما إنّه لو سمى ـ أي : بسم الله ـ لكفاكم » .

وروى مسلم ، عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « إذا دخل العبد بيته فذكر الله تعالى عند دخوله ، وعند طعامه : قال الشيطان ـ أي : قال لإخوانه الشياطين ـ : لا مَبِيْتَ لكم ولا عشاء . وإذا دخل فلم يذكر اسم الله تعالى عند دخوله ، قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه ، قال : أدركتم المبيت والعشاء » .

ما يقال عند الفراغ من الطعام

عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أنّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان

إذا رفع مائدته قال : « الحمد لله كثيراً طَيِّباً مباركاً فيه ، غير مَكْفِيٍّ ولا مُوَدَّعٍ ، ولا مُسْتَغْنىً عنه ربَّنا » رواه البخاري .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا أكل طعاماً قال : « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وجعلنا مسلمين» رواه أبو داود والترمذي .

وروى ابن السني ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا فرغ من الطعام يقول : « اللهم أطعمت وسقيت ، وأغْنَيْتَ وأقْنَيْتَ ، وهديت ، وأحييت ، فلك الحمد على ما أعطيت » .

وروى الترمذي ، عن معاذ رضي الله عنه ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من أكل طعاماً فقال : الحمد لله الذي أطعمني هذا ، وَرَزَقَنِيْهِ من غير حول مني ولا قوة : غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه » .

وروى ابن السني ، أنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا شرب في الإناء تَنَفَّس ثلاثة أنفاس ، يحمد الله تعالى في كل نَفَسٍ ، ويشكره في آخره .

وروى مسلم، أنَّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال: « إنَّ الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشَّربة فيحمده عليها » .

ما يقول المدعو والضيف لأهل الطعام

عن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه قال : نزل النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم على أبي ، فَقَرَّبْنا إليه طعاماً وَوَطْبَةً ـ قربة لطيفة يكون فيها اللبن ـ فقال : أبي للنبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : أُدع الله لنا . فقال : « اللهم بارك لهم فيما رزقتهم ، واغفر لهم ، وارحمهم » رواه مسلم .

وورد في (سنن) أبي داود وغيره أنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم دعا

لسعد بن عبادة رضي الله عنه لما أكل عنده خبزاً وزيتاً فقال : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » .

ما يقال للساقي

روى ابن السني ، أنَّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم دعا للذي سقاه لبناً فقال : « اللهم أَمْتِعْهُ بشبابه » فمرت عليه ثمانون سنة ؛ لم يُرَ فيه شعرةٌ بيضاءُ .

ودعا للذي سقاه ماءً فقال : « اللهم جَمِّلْهُ » فعاش ثلاثاً وتسعين سنةً ؛ وما شاب شعرهُ .

وروى مسلم ، أنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم دعا بقوله : « اللهم أَطْعِمْ مَنْ أطعمني وَٱسْقِ مَنْ سقاني » .

❋ ❋ ❋

ما يقول إذا دخل السوق

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من دخل السوق فقال : لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يُحيي ويميت ، وهو حَيٌّ لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ـ كَتب الله له ألفَ ألفِ حسنة ، ومحا عنه ألفَ ألفِ سيئة ، ورفع له ألفَ ألفِ درجة » .

وفي رواية عوض الثالثة : « وبنى له بيتاً في الجنة » رواه الترمذي وغيره ، وقال المنذري : إسناده متصل حسن .

❋ ❋ ❋

أدعية النكاح

صلاة الزواج :

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : أُكْتم الخطبة ـ أي : إذا خطبت امرأة ـ ثم توضأ وأحسن وضوءك ، ثم صَلِّ ما كتب الله لك ، واحمد ربك وَمَجِّدْهُ ، ثم قل : اللهم إنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، فإنْ رأيت أَنَّ فلانة ـ ويسميها باسمها ـ خيراً لي في ديني ودنياي وآخرتي : فاقدرها لي . وإن كان غيرها خيراً لي منها في ديني ودنياي وآخرتي : فاقدرها لي » رواه ابن حبان وغيره .

ما يقال للزوج بعد عقد النكاح

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا رَفَأَ الإنسانُ ـ أي : تزوج ـ قال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم للمتزوج : « بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينكما في خير » رواه الترمذي وغيره .

ما يقول الزوج
إذا دخلت عليه امرأته ليلة الزفاف

يستحب للزوج أن يقول إذا زُفَّتْ إليه زوجته : « اللهم إني أسألك خيرها ؛ وخير ما جَبَلْتها عليه ، وأعوذ بك من شرها ؛ وشر ما جبلتها عليه » رواه أبو داود ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

ما يقوله عند الجماع

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « لو أَنَّ أحدكم إذا أتى أهله قال : « بسم الله . اللهم جَنِّبْنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا : فقضي بينهما ولد لم يضره شيطان أبداً » متفق عليه .

ما يقال عند الولادة وتألم المرأة بذلك

روى ابن السني ، عن السيدة فاطمة رضي الله عنها : (أَنَّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم لما دنا وِلَادُها ، أمر أم سلمة وزينب رضي الله عنهما أن يأتيا فيقرأا عندها آية الكرسي وآية ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ويعوذاها بالمعوذتين) سورة الفلق والناس .

ما يقال عند المولود حين يولد

عن أبي رافع رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : أَذَّن في أُذُنِ الحسن بن علي رضي الله عنهما حين ولدته السيدة فاطمة رضي الله عنها) رواه الترمذي وغيره .

وزاد رزين في روايته : (وقرأ في أذنه سورة الإخلاص ، وَحَنَّكُه بتمرة وسماه) ولذلك قال ابن حجر : ويسن أن يقرأ في أذنه اليمنىٰ فيما يظهر ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ .

وورد أنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قرأ في أذن مولود سورة الإخلاص ـ فيسن أيضاً اهـ .

* * *

ما يقال عند المريض
وما يقول إذا اشتد وجعه

عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان يُعَوِّذ بعض أهله ، يمسح بيده اليمنى ويقول : « اللهم رَبَّ الناس ، أذْهِبِ الباس ، اِشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاءً لا يغادر سَقَماً » متفق عليه .

(الباس : شدة المرض وهو بغير همزة كما قاله العسقلاني . ومعنى لا يغادر : لا يترك) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ عاد مريضاً لم يَحضر أجله ، فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يَشفيك ـ إلا عافاه الله سبحانه وتعالى مِنْ ذلك » رواه الترمذي .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه ، أنّ جبريل أتىٰ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فقال : « يا محمد اشتكيت؟

قال : نعم . قال : بسم الله أرقيك ، من كل شيء يُؤذيك ، من شر كل نَفْسٍ ، أو عين حاسد ، الله يشفيك بسم الله أرقيك » ـ أي : أعيذك ـ رواه مسلم وغيره .

وعن عثمان بن أبي العاصي رضي الله عنه ، أنه شكى إلى رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وجعاً يجده في جسده .

فقال له رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ضَع يدك على الذي يَألَمُ من جسدك وقل : بسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات : أعوذ بِعِزة الله

وقدرته : من شر ما أجد وأحاذِرُ » رواه مسلم .

ومعنى أحاذر : أخاف .

قال الإمام النووي رضي الله عنه : روينا في كتاب ابن السني ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنَّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان يُعلمهم من الأوجاع كلها ، ومِنَ الحمَّى أن يقول : « بسم الله الكبير ، نعوذ بالله العظيم ، من شر عِرْقٍ نعّار ، وَمِنْ شَر حَرِّ النار » .

وينبغي أن يقرأ على نفسه الفاتحة ، و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والمعوذتين وينفث في يديه ، ويمسح بهما جسده ، كما ورد عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

* * *

ما يقول إذا جلس في مجلس أو قام منه

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه ، ولم يُصَلُّوا على نبيهم فيه : إلا كان عليهم تِرَةٌ ، فإن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم » رواه الترمذي .

ومعنى « كان عليهم ترة » : أي : كان عليهم تبعةٌ وحق يطالبون به .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ما من قوم يقومون عن مجلس ؛ لا يذكرون الله تعالى فيه : إلا قاموا عن مِثل جيفة حمار ، وكان لهم حسرة » رواه أبو داود .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَن جلس في مجلس فكثر فيه لَغَطُهُ ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إلٰه إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ـ إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك » رواه الترمذي .

* * *

ما يقول إذا عطس وما يقال له

في البخاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله . فإذا قال له : يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » .

وفي رواية أبي داود : « فليقل : الحمد لله على كل حال » .

ومعنى . يصْلِحُ بالكم : يصلح شأنكم .

وورد في (الموطأ) أن يقول العاطس لمن شمته : « يغفر الله لنا ولكم » .

وفي مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « إذا عطس أحدكم فحمد الله فَشَمِّتُوْهُ، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه» .

ما يقول إذا أراد السفر وما يقال له

يستحب له عند إرادته الخروج للسفر أن يُصَلِّيَ ركعتين ، ثم يدعو بما رواه ابن السني ، عن أنس رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلّىٰ الله عليه

وآله وسلم لَمْ يُرِد سفراً ، إلا قال حين ينهض من جلوسه : « اللهم إليك تَوَجَّهْتُ ، وبك اعتصمت ، اللهم اكفني ما هَمَّني وما لم أهتم له ، اللهم زَوِّدني التقوى ، واغفر لي ذنبي ، ووجهني الخير أينما توجهت » .

ثم إذا خرج من بيته ، يدعو بما تقدم من الأدعية عندما يخرج الإنسان من بيته ويستحب له أن يودع أهله وأقاربه ، وأصحابه وجيرانه ، يسألهم الدعاء له ، ويدعو هو ويقول لهم، كما روى ابن السني، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من أراد أن يسافر فليقل لمن يُخلف : أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه » .

ويقول مَنْ يُوَدِّعُه : ما روى أبو داود ، عن قَزعة قال : قال لي ابن عمر رضي الله عنهما : أودعك كما ودعني رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » .

ثم إذا رجع من سفره يقول : « آيبون تائبون عابدون ، لربنا حامدون » .

ثم إذا قَدِمَ يبدأ بالمسجد ، فيصلي فيه ركعتي القدوم ، ثم إذا دخل على أهله يقول : « توباً توباً ، لربنا أوباً ، لا يغادر حوباً » وكل ذلك ورد في الحديث .

ومعنى « توباً » : اللهم تب علينا توباً .

ومعنى « أوباً » : أرجِعُ إليك يا رب رجوعاً . « لا يغادر حوباً » أي : لا يترك إثماً .

ويقال لمن قدم من سفره: « الحمد لله الذي سَلَّمك ، والحمد لله الذي جَمَعَ الشَّمل بك » أو نحو ذلك .

ما يقال لمن يقدم من حج
وما يقوله

روى ابن السني والطبراني ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : جاء غلام إلى النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فقال : إني أريد الحج ، فمشى معه رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فقال : « يا غلام زودك الله التقوى ، ووجهك إلى الخير ، وكفاك الهَمَّ » فلما رَجع الغلام سَلَّم على النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فقال : « يا غلام قَبِلَ الله حجك ، وَغَفَر ذنبك ، وأخلف نفقتك » .

وينبغي للحاج أن يدعو بالمغفرة لمن سَلَّم عليه ، فقد روى البيهقي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم: « اللهم اغفر للحاج، وَلمن استغفر له الحاج » وصححه الحاكم .

* * *

ما يقال في الصوم عند الإفطار
وإذا أفطر عند قوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « الصيام جُنَّةٌ ، فإذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يجهل ، وإنِ امرؤٌ قاتله أو شاتمه فليقل : إني صائم إني صائم ـ مرتين » متفق عليه .

ومعنى « جُنَّة »: وقاية من المعاصي. و« الرفث » : الفحش في الكلام . والجهل : خلاف الصواب من القولِ والفعل .

وينبغي إكثار الصائم من الاستغفار ، وقول : لا إلَه إلا الله كما ورد في الحديث .

وعن معاذ بن زهرة ، أنه بلغه أنَّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا أفطر قال : « اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا أفطر قال : « ذهب الظمأ ، وابتلَّت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى » .

وروى ابن السني ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا أفطر قال : « اللهم لك صمنا ، وَمِن رزقك أفطرنا ، فَتقبل مِنا إنك أنت السميع العليم » .

وروى ابن ماجه ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « إنّ للصائم عند فطره لدعوةً ما ترد » .

قال ابن أبي مليكة: سمعت ابن عمرو رضي الله عنهما إذا أفطر يقول : (اللهم إني أسألك برحمتك التي وَسِعَتْ كل شيء أن تغفر لي) وفي رواية الحاكم (تغفر لي ذنوبي) .

وروى ابن السني ، عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا أفطر عند قوم دعا لهم فقال : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » وفي رواية : « وغشيتكم الرحمة » .

* * *

ما جاء في ليلة ويوم النصف من شعبان

عن معاذ رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « يَطَّلعُ الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا: لمشرك أو مشاحن » أي: بينه وبين أخيه المسلم بغضاء . رواه الطبراني وابن حبان.

وروى الإمام أحمد ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لعباده إلا اثنين : مشاحن ، وقاتل نفس ».

وروى البيهقي ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « أتاني جبريل عليه السلام فقال : هذه ليلة النصف من شعبان ، ولله فيها عتقاء من النار بِعَدَدِ شُعور غنم بني كلب ، ولا ينظر الله فيها إلى : مشرك ، ولا إلى مشاحن ، ولا إلى قاطع رحم ، ولا إلى مسبلٍ ، ولا إلى عاقٍّ والديه ، ولا إلى مدمن خمر » .

وعن علي رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « إذا كانت ليلة النصف من شعبان : فقوموا ليلها ، وصوموا يومها ، فإنَّ الله تبارك وتعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا فيقول : أَلَا مِنْ مُستغفر فَأغفر له ، أَلا مِنْ مُسترزق فأَرزقه ، أَلا مِنْ مُبتلىً فأُعافيه ، أَلا كَذَا أَلا كَذَا ؟ حتى يطلع الفجر » رواه ابن ماجه .

دعاء ليلة النصف من شعبان

الأصل في دعاء نصف شعبان أنه أثر وارد عن ابن مسعود وعمر

وغيرهما رضي الله عنهم ، فقد روى ابن أبي شيبة ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلّا وَسّع الله تعالى عليه في معيشته : (اللهم يا ذا المَنِّ ولا يمن عليه ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا ذا الطَّولِ والإنعام ، لا إلّه إلا أنت ، ظهر اللاجين ، وجار المستجيرين ، ومأمن الخائفين .

اللهم إنْ كنت كَتَبْتني عندك في أم الكتاب شقياً : فامح عني اسم الشقاوة ، وأثبتني عندك سعيداً ، وإن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب محروماً مُقَتَّراً عَلَيَّ رزقي : فامح حرماني ، وَيَسّر رِزْقي ، وَأَثبتني عندك سعيداً ، موفقاً للخير ، فإنّك تقول في كتابك الذي أنزلت : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .

وأخرج عَبْدُ بن حُميد ، عن عمر رضي الله عنه أنه قال وهو يطوف بالبيت : (اللهم إن كُنْتَ كتبت علي شِقْوة أو ذنباً فامحه ؛ واجعله سعادة ومغفرة ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب) .

وأخرج ابن جرير عن أبي وائل أنه كان يدعو بهذه الدعوات أيضاً .

قد يقول بعض الناس : إن هذا الدعاء مَرْدود لأنه يَدل على أن أم الكتاب يجوز عليه التبديل ، مع أَنّ أم الكتاب لا يتبدل .

فالجواب : إن العلماء قد اختلفوا في أم الكتاب : أَهُوَ اللوح المحفوظ ، الذي لا يجري عليه تبديل ولا تغيير ؛ لأنه مطابق لعلم الله تعالى ، وعليه جمهور العلماء والعرفاء. أمْ هُوَ ـ أي: أم الكتاب ـ غير اللوح المحفوظ، بل يجري عليه التبديل والتغيير ، كما هو مذهب طائفة من أهل العلم سَلَفاً وخلفاً . وعليه تتأول هذه الآثار .

فَمَنْ أراد أن يدعو دعاءَ نِصفِ شعبان : إن كان يلاحظ مذهب

الجمهور أنَّ أُمَّ الكتاب لا يتبدل ، فلا يذكر في دعائه لفظ أم الكتاب ، وإن كان يُلاحظ القول الثاني : فليأت بها . والله تعالى أعلم .

الاجتماع في المساجد ليلة نصف شعبان

إن اجتماع المسلمين في المساجد ليلة النصف من شعبان ، لتلاوة سورة يٓس ، والدعاء ، والابتهال إلى الله تعالى ، والاستغفار والتوبة إليه تعالى ، عمل مبرور ، وفيه خير كثير ، داخل تحت أصول السنة الصحيحة ، وقواعد الشريعة الصريحة .

قال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى ، يتلون كتاب الله تعالى ، ويتدارسونه بينهم : إلّا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» .

وقد نقل الإمام النووي في (التبيان) عن كثير من السلف، جواز القراءة معاً مجتمعين عليها ، مستدلاً على ذلك ببعض الآثار. فراجعه إن شئت .

هذا وإنّ الاجتماع على ذكر الله تعالى ، هو أمر حَثّ عليه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وَنَدب إليه . كما تقدم في أول هذه الرسالة .

وأما تخصيص هذه الليلة بهذا الاجتماع ، وهذا الدعاء ، فلأن فضائلها ثبتت بالأحاديث السابقة ، فَأيّ مانع شرعي يمنع من ذلك ؟! وبهذا تعلم أن هذا الاجتماع في ليلة النصف من شعبان ليس من البدعة السيئة أصلاً ، لأن البدعة السيئة هي ما لا أصل له في الشرع ، ولا منزع له في السنة ، فالقول بأن ذلك بدعة سيئة هو القول نفسه : بدعة سيئة . والله تعالى أعلم .

* * *

ما يقول إذا صادف ليلة القدر

روى الإمام أحمد ، عن عُبَادة بن الصَّامت رضي الله عنه قال : أخبرنا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم عن ليلة القدر قال : « هي في شهر رمضان ، في العشر الأواخر ، ليلة إحدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، أو آخِرَ ليلة من رمضان ، مَنْ قَامها احتساباً : غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله إنْ عَلِمْتُ ليلة القدر ما أقول فيها ؟ .

قال : « قولي : اللهم إنك عَفُوٌّ كريم تحب العفو فَٱعف عني » رواه الترمذي .

ويستحب الإكثار فيها من الدعاء ، وقراءة القرآن ، وسائر الأذكار المستحبة ، وأن يُكثر من الدعوات بمهمات المسلمين ، فهذا شعار الصالحين العارفين ، كما نبه عليه كبار المحققين .

والبحث في شؤون ليلة القدر ، وخصائصها ، وفضائلها ، ومكان أوقاتها ـ لا تتسع له هذه الرسالة .

* * *

فضل الاعتكاف وأذكاره

عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان ؛ حتى توفاه الله تعالى

ويقول : « تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان » ثم اعتكف أزواجه من بعده) متفق عليه .

وروى البيهقي بإسناده ، أنَّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « مَنِ اعتكف عشراً في رمضان كان كحجتين وعمرتين » .

قال الإمام النووي رضي الله عنه : يُستحب أن يكثر في الاعتكاف من تلاوة القرآن ، وغيره من الأذكار .

❊ ❊ ❊

أذكار يوم الجمعة والعيدين ولياليها

يستحب أن يُكثر في يوم الجمعة وليلتها من قراءة القرآن ، والأذكار ، والدعوات ، والصلوات على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، ويقرأ سورة الكهف يومها وليلتها ، وسورة الدخان .

روى النسائي ، عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إنَّ مِنْ أفضل أيامكم يومَ الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه قُبِضَ ، وفيه النفخة ، وفيه الصّعقة ، فَأكثروا عَليَّ من الصلاة فيه ؛ فَإِنَّ صلاتكم معروضة عَلَيَّ » .

قالوا : وكيف تُعرض صلاتُنا عليك وقد أَرَمْتَ ؟ - أي : بليت - فقال : « إنّ الله حرم على الأرض أن تأكل أجسامنا » أي : أجساد الأنبياء كما في رواية .

وروي عن أبي سعيد رضي الله عنه ، أنّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة : أضاء له من النور ما بين الجمعتين » .

ورواه الدارمي موقوفاً على أبي سعيد رضي الله عنه ولفظه قال : « مَنْ قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق » .

وروى ابن مَرْدُوْيَهْ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « من قرأ سورة الدخان ليلة الجمعة غُفِرَ له » .

وروى ابن السني ، عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة ـ صلاة الصبح ـ : أستغفر الله الذي لا إلٰه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ـ ثلاث مرات : غَفَر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » .

وروي عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَنْ قرأ بعد صلاة الجمعة : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سبع مرات : أعاذه الله عز وجل بها من كل سوء إلى الجمعة الأخرى » وفي رواية إلحاق الفاتحة سبعاً أيضاً .

وفي (الأذكار) : يستحب الإكثار مِنْ ذكر الله تعالى بعد صلاة الجمعة قال تعالى : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه (أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ذكر يوم الجمعة فقال : « فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم ، وهو قائم يصلي ، يسأل الله شيئاً : إلا أعطاه » وأشار بيده يُقَلِّلُها) متفق عليه .

وقد اختلف العلماء في تعيين ساعة الإجابة يوم الجمعة ، على أقوال متعددة ، وأوضحها قولان :

الأول : ما بين أن يجلس الإمام على المنبر إلى أن يقضي الصلاة .

الثاني : إنها ساعة آخر يوم الجمعة قبل الغروب .

ويستحب إحياء ليلتي العيدين بذكر الله تعالى، والصلاة، وغيرهما من الطاعات .

روى ابن ماجه ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من قام لَيْلَتَيْ العيدين مُحتسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » . ورواية الطبراني : « من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » .

وفي (أذكار) النووي : واختلف العلماء في القدر الذي يحصل به الإحياء، فالأظهر أنه لا يحصل إلا بمعظم الليل، وقيل : يحصل بساعة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « زَيِّنُوا أعيادكم بالتكبير » .

وعن سعيد بن أوس الأنصاري، عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إذا كان يوم عيد الفطر ، وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا : أُغدوا يا معشر المسلمين ، إلى رَبٍّ كريم ، يَمُنُّ بالخير ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أُمِرْتم بقيام الليل فقمتم ، وأُمِرْتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فإذا صَلَّوا نادىٰ مُنادٍ أَلَا إنَّ رَبَّكم قَد غفر لكم ، فارجعوا راشدين إلى رحالكم . فهو يوم الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم في السماء : يوم الجائزة » رواه الطبراني .

* * *

أذكار يوم عرفة
وبقية العشر من ذي الحجة

روى الترمذي بإسناده ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال :

« خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » .

وفي رواية البيهقي : « وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير » .

وعن أبي قتادة رضي الله عنه ، قال : سئل رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم عن صوم يوم عرفة ؟ . قال : « يكفر السنة الماضية والباقية » رواه مسلم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما العمل في أيام أفضل منها ـ وفي بعض النسخ : « منه » ـ في هذه » ـ يعني : عشر ذي الحجة ـ .

قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ .

قال : « ولا الجهاد ، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء » رواه البخاري .

ورواية الترمذي : « ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام العشر » .

* * *

قراءة القرآن الكريم وآدابها

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : آلم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله تعالى ، ويتدارسونه بينهم : إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن مسألتي ـ عن أنْ يسألني ويطلب مني ـ أعْطَيته أفضل ما أُعطي السائلين . وفضل كلام الله على سائر الكلام : كفضل الله على خلقه » رواه الترمذي .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أوصني .

قال : « عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله » .

قلت : يا رسول الله زدني .

قال : « عليك بتلاوة القرآن فإنّه نور لك في الأرض ، وذخر لك في السماء » .

وعن فَضَالة بن عبيد رضي الله عنه ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « لَلَّه أشد أَذَناً ـ أي : استماعاً ـ للرجل الحسن الصوت

بالقرآن مِنْ صاحب القَينةِ إلى قَينته » رواهما ابن حبان .

وقال الإمام أَحمد رضي الله عنه : (رأيت الله عز وجل في المنام فقلت : يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك ؟ .

قال : بكلامي يا أحمد .

قلت : بفهم أو بغير فهم ؟ .

قال : بفهم وبغير فهم) .

أما آداب التلاوة فهي كما قال الإمام النووي : كثيرة جداً ، نذكر منها أطرافاً :

فأولًا : ينبغي أن يتوضأ ، ويستاك ، وأن يستشعر بالإخلاص .

قال الإمام النووي رضي الله عنه : فأول ما يؤمر به الإخلاص في قراءته ، وأن يُرِيْدَ بها الله سبحانه وتعالى ، وأن لا يقصد بها توصلاً إلى شيء سوى ذلك ، وَأن يتأدب مع القرآن ، ويستحضر في ذهنه أنه يناجي الله سبحانه وتعالى ، ويتلو كتابه ، فيقرأ على حال مَنْ يرى الله ، فإنَّه إنْ لم يَره فإنَّ الله تعالى يراه .

ثم قال : ينبغي للقارىء أن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع ، فهذا هو المقصود المطلوب ، وبه تنشرح الصدور ، وتستنير القلوب ، ودلائله أكثر من أن تُحْصَر ، وأشهر من أن تُذكر ، وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم آية واحدة ليلة كاملة ، أو معظم ليلة : يتدبرها . وَصُعق جماعات منهم عند القراءة ، ومات جماعات منهم .

ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء ، فإنّ البكاء عند القراءة صِفة العارفين ، وشعار عباد الله الصالحين ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴾ .

وقال إبراهيم الخواص رضي الله عنه : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

وقال بعض العارفين رضي الله عنه : وَأَكْثِرْ مِنْ قراءة القرآن بتدبر إن كنت عالماً ؛ فإنه أرفع الأذكار الإلّهية ، وإن كنت في جماعة يقرؤون القرآن فاقرأ معهم ؛ ما اجتمعتم عليه ، فإذا اختلفتم فقم عنهم ، وحافظ على قراءة الزهراوين : البقرة وآل عمران ، وإذا شرعت في قراءة سورة من القرآن فلا تتكلم حتى تختمها ، فإن ذلك دأب العلماء الصالحين .

وقد كان للسلف الصالح رضي الله عنهم عادات مختلفة في ختم القرآن الكريم ، فقد نقل الإمام النووي رضي الله عنه عن الأكثرين منهم مَن يختم القرآن في كل سبع ليال ، ومنهم في كل ست ليال ، ومنهم في كل خمس ، ومنهم في كل أربع يختم خَتْمَةً ، ونقل عن كثيرين منهم من يختم القرآن في كل ثلاث ليال ، ومنهم في كل ليلتين ، ومنهم في كل يوم وليلة يختم ختمة ، ومنهم من يختم في كل يوم وليلة ختمتين ، ومنهم من كان يختم في كل يوم وليلة ثلاثاً ، وختم بعضهم ثمان ختمات : أربعاً في الليل وأربعاً في النهار .

فمن الذين كانوا يختمون ختمة في الليل والنهار : سيدنا عثمان بن عفان، وتميم الداري، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والإمام الشافعي وغيرهم رضي الله عنهم.

ومن الذين كان يختمون ثلاث ختمات كل يوم وليلة : سليم بن عتر رضي الله عنه قاضي مصر في خلافة سيدنا معاوية رضي الله عنه .

فقد روى أبو بكر ابن داود أنه كان يختم في كل ليلة ثلاث ختمات ، وروى أبو عمر الكندي أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات .

وروى السيد الجليل أحمد الدَّوْرَقِي ، بإسناده عن منصور بن زَاذَان ـ من عُبَّاد التابعين رضي الله عنهم ـ أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر ، ويختم أيضاً بين المغرب والعشاء في رمضان ختمتين وشيئاً ـ لأنهم كانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي رُبع الليل ـ .

وروى ابن أبي داود بإسناد صحيح : أن مجاهداً كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء .

وكان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان .

وعن إبراهيم بن سعد قال : كان أبي يحتبي فما يحل حَبْوَتَهُ حتى يختم القرآن .

قال الإمام النووي رضي الله عنه : وأما الذين ختموا في ركعة فلا يُحْصَون لكثرتهم ، فمن المتقدمين : سيدنا عثمان بن عفان ، وتميم الداري ، وسعيد بن جبير رضي الله عنهم .

ونقل الحافظ محمد بن نصر المروزي ، عن ثابت البناني رضي الله عنه أنه كان يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ، ويصوم الدهر .

وقال حُمَيد الطويل : ما ترك ثابت في المسجد الجامع سارية ـ أي : عموداً ـ إلا وَقد ختم عندها القرآن في الصلاة ، وما سار بيْ فِيْ حاجة قط إلا كان أول ما يقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلَه إلا الله ، والله أكبر . ثم يتكلم بحاجته .

وكان أبو حمزة يختم القرآن كل يوم وليلة ، ويصلي ما بين الظهر

والعصر ، وما بين المغرب والعشاء ـ أي : لأن الصلاة في هذين الوقتين شأن الأوابين إلى الله تعالى ـ وكان يصوم الدهر .

وخرج صالح بن كيسان إلى الحج ، فربما ختم القرآن مرتين في ليلة واحدة بين طرفي رحله .

وجاء في (تذكرة الحفاظ) أن أبا بكر بن عياش المقرىء لم يضع جنبه ـ أي : للنوم ـ على الأرض أربعين سنة ، ولما حضرته الوفاة بكت أخته . فقال لها : انظري إلى تلك الزاوية ، ختمت فيها ثماني عشرة ألف ختمة . أي : وهذا سوى ما ختمه في سائر الأماكن .

ولو أننا تتبعنا ما ورد عن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم وغيرهم ، من عنايتهم بقراءة القرآن الكريم ، وشدة اهتمامهم به ، لعجز القلم عن استقصاء ذلك ، ولكن فيما ذكرنا كفاية لمن كان من أهل العناية والرعاية .

وَمَنْ نظر نظرة عابرة في موقف الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وَمَنْ بعدهم مع القرآن الكريم : يتضح له جلياً أنهم كانوا يُلاَزمون تلاوة القرآن الكريم أشد الملازمة ، ويدأبون في قراءة القرآن دأباً كلياً ، في ليلهم ونهارهم ، وسفرهم وقرارهم ، وبيوتهم ومساجدهم ومجالسهم .

فكان عمر رضي الله عنه إذا جلس إلى أصحابه يقول لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه : ذَكِّرْنَا ربنا يا أبا موسى . فيقرأ عليهم القرآن .

وكانت مساجدهم مدارس للقرآن الكريم ، قراءةً ، وتعليماً ، هذا لِما ورد عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم من الحث على ذلك ، واهتمامه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم بنشر هذا القرآن الكريم ، وبثه في الأمة ، لأنه قِوام الدين ، وركنه القويم ، حتى قال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فيما

حض به الصحابة وَمَن بعدهم ، على العناية بالقرآن الكريم قال : « خيركم مَنْ تعلم القرآن وعلمه » إلى ما هنالك مِنْ مِئات الأحاديث الواردة في هذا الشأن .

وقد بعث رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير رضي الله عنه في العقبة الأولى إلى المدينة ، لِيُعَلِّم الأوس والخزرج القرآن قبل الهجرة ، فنزل دار القراء ، وعلمهم القرآن ، وكانت صُفَّةُ المسجد النبوي بعد الهجرة مَدرسة للقراءة ، يأوي إليها فقراء الصحابة ؛ ممن لا أهل لهم ، يتدارسون القرآن ويتعلمونه ، ثم يذهبون في نواحي البلاد يُعَلِّمونه .

وكان جماعة من الصحابة تفرغوا للإقراء في المدينة بأمر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، حتى امتلأت المدينة بالقراء .

وكانت لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ثم لابن عباس رضي الله عنهما عنايةٌ تامةٌ بتعليم القرآن وعلومه ، لأناس كثيرين ـ لا يحصيهم العد ـ في مكة المكرمة .

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يَجلس في مسجد الكوفة ، فيعلم الناس القرآن ، حتى بلغ عدد الثقات الذين أخذوا عنه القراءة مباشرة أو بواسطة من أخذ عنه ؛ بَلغ ذلك ما يقرب من نحو أربعة آلاف قارىءٍ .

وسيدنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه نصب نفسه يُعلم القرآن في مسجد البصرة ، كما روىٰ ابن الضُّرَّيس بإسناده إلى أبي رجاء العُطاردي البصري ، أنه قال : كان أبو موسى رضي الله عنه يطوف علينا في هذا المسجد ـ يعني : مسجد البصرة ـ فيقعدنا حِلَقاً حِلَقاً يقرئنا القرآن .

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يُعلم القرآن في كل يوم في جامع دمشق ، من طلوع الشمس إلى الظهر ، ويقسم المتعلمين عشرة عشرة[١] وَيُعَيِّنُ لكل عشرة عريفاً يعلمهم القرآن ، وهو يشرف على الجميع ، يَرجعون إليه إذا غلطوا في شيء. جاء ذلك في (تاريخ) ابن عساكر وغيره.

وكان الإمام المقرىء ابن عامر رضي الله عنه في دمشق له أربعمائة عَرِّيف يقومون بتعليم القرآن تحت إشرافه . جزاهم الله تعالى خيراً .

وكانت بيوت السلف الصالح تُدوي بقراءة القرآن ، من كبيرهم وصغيرهم ، ورجالهم ونسائهم ، سِيَّما في الليل عامة ، وفي ليالي رمضان وأيامه خاصة .

قال أبو الأحوص : إن كان الرجل ـ أي : إنهُ كان الرجل من الصحابة ـ ليطرق[٢] الفسطاط ليلاً فَيسمع لهم دوياً كدوي[٣] النحل ، فما بال هؤلاء يأمنون ماكان أولئك يخافون ؟!!! .

وقالت أم هانىء رضي الله عنها : كنت أسمع قراءة النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم من الليل وأنا على عريش أهلي .

وسئلت السيدة عائشة رضي الله عنها : كيف كانت قراءة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم من الليل ، أكان يَجهر أم يسر ؟

فقالت : كل ذلك كان يفعل ، رُبَّما جهر وربما أسر .

وقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إني لأعرف أصوات الأشعريين

---

(١) يعني : إنه يصنفهم أصنافاً على منهج الصفوف في زماننا .

(٢) يعني : إنه يأتي أهله ليلاً بعد أن كان غائباً عنهم .

(٣) يعني : دويُّ أصواتهم بالقرآن الكريم .

بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ؛ وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار » .

وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا قرأ في الليل خَافَتَ صوته ، وكان عمر رضي الله عنه إذا قرأ رفع صوته ، فَذُكِرَ ذلك للنبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فقال لأبي بكر رضي الله عنه : « ماذا أردت » ؟ فقال : (إني أُسمع مَنْ أُناجي) فقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « صدقت » وقال لعمر رضي الله عنه : « ماذا أردت » ؟ فقال : (أطرد الشيطان ، وأوْقظ الوَسْنان) فقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « صدقت » .

وقال أبو الزناد : كنت أخرج من السحر إلى مسجد النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فلا أمر ببيت إلا وفيه قارىء ، قال : وكنا ونحن فتيان نُريد أن نخرج لحاجة فنقول : موعدكم قيام القراء .

على هذا المنوال جرى التابعون ومن بعدهم ، قرناً فقرناً ، كلٌّ مُتمسك بهذا الحبل المتين ، قراءة وإقراء ، وتعلماً وتعليماً ، وتَخَلُّقاً وتخليقاً ، وتفهماً وتحقيقاً ، إلى أن خلف مِن بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات ، واستحلوا المحرمات ، وصاروا يَعدون ذلك الكتاب الكريم ، والتراث القويم ، يعدونه مِن نوع التُّرَّهَات أو الخرافات ، فهم لا يَميلون إليه قلباً ، ولا يُصغون إليه أذناً ، ولا يَقبلونه حَكَماً ، ولا يَدِيْنون به دِيْناً ، طرحوه وراءهم ظهرياً ، وهجروه هَجْراً كلياً ؛ ويزعمون أنهم مسلمون . كلا بل هم المتمسلمون .

فالواجب على كل مؤمن ومؤمنة : أن يهتم بقراءة القرآن الكريم ، ولا يهجر تلاوته ، حذراً من أن يناله حظ من قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ ، فإنّ الذين هجروه هم على

دَرَكات ، منهم من هجره إيماناً فلم يؤمن به ، ومنهم من هجر العمل به ، ومنهم هجر تلاوته .

كما وأنه يَجب على كل مؤمن أن يَتَعَهَّد وَلَدَهُ بتعليم القرآن الكريم من صغره ، ويعتنيَ له بترتيله وتجويده ، ويأمر أولاده ذكوراً وإناثاً بالمواظبة على تلاوة القرآن الكريم ، حتى تستنيرَ قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم بالقرآن الكريم ، وحتى تستحكمَ الصلة بينهم وبين القرآن الكريم ، وحتى يَشبوا ويَشيبوا وقد أُشربوا في قلوبهم حب القرآن الكريم ، بدلًا من تلك الرسائل الماجنة ، والمجلات الفاتنة ، والصور الخليعة ، المملوءة بالأباطيل والأضاليل ، والسفاسف التي تُفسد الأخلاق ، وتُحطِّم العقائد ، وتمسخ المسلم الموحد إلى جاحد ـ عياذاً بالله تعالى .

وإنَّ كل عاقل يَعْلم أَنّ أعداءَ الدين من الأجانب الكفرة لَم يستطيعوا ولن يستطيعوا أن يقضوا على ديننا بالحجة والبرهان ، ولذلك لجؤوا إلى طرق الفجور والطغيان ، والخلاعة المكشوفة ، والصور الخليعة العارية ، فَسَبَوا عُقول الفتيان والفتيات ، فَأوقعوهم في الشهوات ، وَلَبَّسُوا عليهم الشبهات ، حتى حَملوهم على إنكار الضروريات المعقولات ، وبديهيات المعلومات .

قال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إنّ الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » رواه الترمذي وصححه .

وعنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « اقرؤوا القرآن فإنَّ الله تعالى لا يُعذب قلباً وعى القرآن ، وإن هذا القرآن مأدبة الله ، فمن دخله فهو آمن ، ومن أحب القرآن فليبشر » قال في (التبيان) : رواه الدارمي .

وعلى الجملة فمن أراد أن يَعْمُر قلبه وبيته ، ويحيىٰ حياة طيبة ، فعليه

بالقرآن ، فقد روى محمد بن نصر المروزي بإسناده ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « البيت إذا قرىء فيه القرآن حضرته الملائكة ، وَتَنَكَّبَتْ عنه الشياطين ، واتسع على أهله ، وكثر خيره ، وَقَلّ شره ، وإن البيت إذا لم يقرأ فيه القرآن حضرته الشياطين، وتنكبت عنه الملائكة ، وضاق على أهله ، وقل خيره ، وكثر شره » .

* * *

الاسم الأعظم والأسماء الحسنى

اختلف العلماء رضي الله عنهم في الاسم الأعظم ، الذي له خصوصية : أَنَّ من دعا به أجيب ، هل هو واحد أو متعدد .

فَمَنْ قَال بأنَّه واحد اختلفوا في تعيينه على أربعين قولًا ، أفردها السيوطي وغيره بالتصنيف ، وكل منهم استدل على تعيينه بأحد الأحاديث الآتية ، وَمَنْ قال بأنَّهُ متعدد استدل بتعدد الأحاديث الواردة في بيانه .

والظاهر أن الاسم الأعظم الذي له تلك الخاصة ـ أي : مَنْ دَعا بِهِ أُجِيْبَ ـ هو متعدد ، ولكن أعظم الكل على الإطلاق اسم (الله) كما يدل عليه كلام العارفين رضي الله عنهم .

فقد جاءِ الاسم الأعظم في الحديث الذي رواه أبو داود ، عن مِحجن بن الأدرع رضي الله عنه قال : سمع صلّىٰ الله عليه وآله وسلم رجلًا يقول : اللهم إني أسألك يا ألله الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد : أن تغفر لي ذنوبي ، إنّكَ أنت الغفور الرحيم .

فقال : « قد غُفِرَ له ، قد غفر له ، قد غفر له » .

وجاء في الحديث الذي رواه الترمذي ، عن بريدة رضي الله عنه قال : سمع النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم رجلاً يقول : اَللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إلّه إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

فقال : « والذي نفسي بيده ، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا

دُعِيَ بِهِ أجاب ، وإذا سئل به أعطىٰ » .

وجاء في الترمذي، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ وفاتحة سورة آل عمران: ﴿ الٓمٓ ﴾ .

وروى البيهقي، عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله علِّمني اسم الله الذي إذا دُعِيَ به أجاب .

فقال لها : « قومي فتوضئي ، وادخلي المسجد ، فصلي ركعتين ، ثم ادعي حتى أسمع » .

ففعلتُ فلما جلست للدعاء قال النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « اللهم وفقها » .

فقالت : (اللهم إني أسألك بجميع أسمائك الحسنى كلها ، ما علمنا منها وما لم نعلم ، وأسألك باسمك العظيم الأعظم ، الكبير الأكبر الذي مَنْ دعاك به أجبته ، ومن سألك به أعطيته) .

قال : يقول النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « أَصَبْتِهِ أَصَبْتِهِ » .

وروى الطبراني ، عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب في هذه الآية ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وروى الديلمي ، عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « اسم الله الأعظم في آيات من آخر سورة الحشر » .

فإذا أردت الإلحاح والإكثار فادع بجميع الأحاديث والآثار .

وتفاصيل أبحاث الاسم الأعظم ربما تأتي في غير هذه الرسالة إن شاء الله تعالى .

ثم إن أسماءه سبحانه وتعالى كُلَّها حسنى ، ولا حد لها ولا نهاية ، لأَن أسماءه سبحانه على حسب كمالاتِه ومحامدِه ، وكمالاتُه ومحامدُه لا نهاية لها ، فأسماؤه سبحانه لا نهاية لها ، وقد جاء في الحديث الإخبار عن خصوصية التسعة والتسعين اسماً أَنَّ مَنْ أحصاها دخل الجنة ، كما ورد في (الصحيحين) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إن لله تسعةً وتسعين اسماً ، من أحصاها دخل الجنة . إن الله وتر يحب الوتر » .

وإحصاؤها على مراتب :

الأولى : حفظ ألفاظها . كما في رواية : «من حفظها» .

الثانية : فَهْم معانيها ومدلولها .

الثالثة : دعاؤه بها سبحانه ، قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ فأمرنا أن نَدعُوَهُ بها ، ثناء وعبادة ، وطلباً ومسألة ، وهذا يتضمن التحقق بآثارها ، والعمل بمقتضاها كما نبه عليه العارفون رضوان الله عليهم .

وقد جاء بيانها في رواية الترمذي فَعَدّها : « هو الله الذي لا إلٓه إلا هو، الرحمن. الرحيم. الملك. القدوس. السلام . المؤمن . المهيمن . العزيز . الجبار . المتكبر . الخالق . البارىء . المصور . الغفار . القهار. الوهاب . الرزاق . الفتاح . العليم . القابض . الباسط. الخافض. الرافع . المعز . المذل . السميع . البصير. الحكم. العدل. اللطيف. الخبير. الحليم. العظيم. الغفور.

الشكور . العَلِيُّ . الكبير . الحفيظ . المُقِيْت . الحسيب . الجليل .
الكريم . الرقيب . المجيب. الواسع. الحكيم. الودود. المجيد.
الباعث . الشهيد . الحق . الوكيل . القوي . المتين . الولي .
الحميد . المُحْصِي . المبدئ . المعيد . المُحيي . المميت. الحي .
القيوم. الواجد. الماجد. الواحد . الصمد. القادر. المقتدر.
المقدِّم. المؤخِّر . الأول . الآخر . الظاهر . الباطن . الوالي .
المتعالي . البرّ . التواب . المنتقم . العفو . الرؤوف . مالك
الملك . ذو الجلال والإكرام. المقسط. الجامع. الغني. المُغْني .
المانع . الضار . النافع . النور . الهادي . البديع . الباقي .
الوارث . الرشيد . الصبور » .

* * *

كتاب نوافل الصلاة

عن السيدة أم حبيبة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « ما من عبد مسلم ، يصلي لله تعالى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة ، تطوعاً غير فريضة : إلا بنىٰ الله تعالى له بيتاً في الجنة ـ أربعاً قبل الظهر ، وركعتين بعده ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الغداة » رواه الترمذي وغيره ، وهذا الحديث فيه بيان السنن المؤكدة التي ينبغي المواظبة عليها ، ولا يَكتفي بفعلها مرة أو مرتين ؛ كما يتوهم ذلك بعض الناس ، فإنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان يُواظب عليها ، وحث على المواظبة عليها ، كما في حديث النسائي ، عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « من ثابر على ثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلةِ دخل الجنة » .

سنة الفجر وفضائلها

عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » رواه مسلم .

وروى الطبراني ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رجل يا رسول الله دلني على عمل ينفعني الله به .

قال : « عليك بركعتي الفجر فإنّ فيهما فضيلة » .

وروى الإمام أحمد ، عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لا تَدَعُوا الركعتين اللتين قبل صلاة الفجر ؛ فإنّ فيهما الرغائب » الخيرات والثواب .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ، و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن» وكان صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقرؤهما في ركعتي الفجر ، وقال : «هاتان الركعتان فيهما رُغَبُ الدُّرِّ» رواه الطبراني .

فضائل سنن صلاة الظهر

عن السيدة أم حبيبة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : «من يحافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها : حَرمه الله على النار» رواه أحمد وغيره .

وروى الطبراني ، عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : لما نزل رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم عَلَيّ ـ أي : حين هاجر إلى المدينة ـ رأيته يُديم أربعاً قبل الظهر ، وقال : «إنّه إذا زالت الشمس فُتحت أبواب السماء ، فلا يُغلق منها باب حتى تُصلىٰ الظهر ، فأَنا أُحِبُّ أن يرفعَ لي في تلك الساعة خيرٌ» أي : فلذلك كان صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يُصلي أربعاً قبل فرض الظهر .

وروى البزار، عن ثوبان رضي الله عنه، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان يستحب أن يُصَلِّي بعد نصف النهار .

فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله إني أراك تَستحب الصلاة هذه الساعة ؟ .

قال : «تفتح فيها أبواب السماء ، وينظر الله تبارك وتعالى بالرحمة إلى خلقه ، وهي صلاةٌ كان يحافظ عليها آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى» صلوات الله عليهم .

وروى الترمذي ، عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « أربع قبل الظهر وبعد الزوال ، تحسب بمثلهن في السحر ، وما مِنْ شيء إلّا وهو يُسَبِّح الله تعالى في تلك الساعة » ثم قرأ : ﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ .

فضيلة سنة العصر

روى الترمذي ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « رحم الله امرءاً صلّىٰ قبل العصر أربعاً » .

وروى الطبراني ، عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من صلّىٰ أربع ركعات قبل العصر : حرم الله بدنه على النار » وفي رواية : « لم تمسه النار » .

وروى أبو يعلى ، أنّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من حافظ على أربع ركعات قبل العصر : بنى الله له بيتاً في الجنة » .

وروى الطبراني ، عن علي رضي الله عنه ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « لا تزال أمتي يُصلون هذه الأربع ركعات قبل العصر ؛ حتى تمشي على الأرض مغفوراً لها مَغْفِرَةً حتماً » .

فضائل سنن صلاة المغرب
والصلاة بين المغرب والعشاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « من صلّىٰ بعد المغرب ست ركعات ، لم يتكلم فيما بينهن بسوء : عُدِلْنَ بعبادة ثنتي عشرة سنة » رواه الترمذي .

وعن محمد بن عمار بن ياسر رضي الله عنهم قال : رأيت عمار بن

ياسر رضي الله عنهما يُصلي بعد المغرب ست ركعات ، وقال : رأيت حبيبي رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يصلي بعد المغرب ست ركعات ، وقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَنْ صلّىٰ بعد المغرب ست ركعات : غفرت ذنوبه ؛ وإن كانت مثل زبد البحر » رواه الطبراني .

وروى ابن ماجه ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من صلّىٰ بعد المغرب عشرين ركعة : بنى الله له بيتاً في الجنة » .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كانوا ـ أي : الصحابة رضي الله عنهم على عهده صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ـ يَتَنَفَّلونَ ما بين المغرب والعشاء يُصَلُّون . وكان الحسن يقول : قيام الليل ـ أي : الصلاة بين المغرب والعشاء لها ثواب قيام الليل ـ رواه أبو داود .

فضائل سنن صلاة العشاء

عن عبد الله بن مُغفل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « بين كل أذانين صلاة ، بين كل أذانين صلاة ، بين كل أذانين صلاة ؛ لمن شاء » ـ أي : من غير فريضة ـ رواه الشيخان .

والمراد بالأذانين : الأذان والإقامة .

وروى الطبراني ، عن البراء رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من صلّىٰ قبل الظهر أربع ركعات كأنما تهجد بهن من ليلته ، ومن صلاهن بعد العشاء كمثلهن من ليلة القدر » .

فضائل صلاة الضحى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي ﷺ : (بصيام

ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن أوْتِرَ قبل أن أرقد) رواه الشيخان .

وفضائل صلاة الضحى كثيرة نذكر جملة منها :

١ ـ بها يغفر الله تعالى الذنوب :

روى الترمذي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « من حافظ على شُفْعَةِ الضحى ـ أي : ركعتي الضحى ـ غُفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر » .

وروى أبو يعلى ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من قام إذا استقبلته الشمس ـ أي : بعد طلوعها وارتفاعها ـ فتوضأ فأحسن وُضوءه ، ثم قام فصلّىٰ ركعتين : غُفرت له خطاياه ، وكان كما ولدته أمه » .

٢ ـ بها يكون من الأوابين :

روى الطبراني ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أوَّاب » قال : « وهي صلاة الأوابين » .

٣ ـ بها ينال أجر المعتمر :

روى أبو داود ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة ـ أي : مفروضة يُصليها في المسجد ـ فأجره كأجر الحاج المحرم ، وَمَنْ خرج إلى تَسْبيحِ ـ أي : صلاة ـ الضحى ، لا يَنصبه إلا إياه ـ أي : صلاة الضحى ـ فأجره كأَجر المعتمر ، وصلاة على إِثر صلاةٍ ؛ لا لَغْوَ بينهما : كتاب في عِلِّيين » .

٤ ـ بها يكتب من العابدين ومن القانتين :

ض روى الطبراني ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « من صلّىٰ الضحى ركعتين لم يُكْتب من الغافلين ، ومن صلّىٰ أربعاً كُتب من العابدين ، وَمَنْ صَلّى سِتاً كُفِيَ ذلك اليوم ، وَمَنْ صلّىٰ ثمانياً كتبه الله من القانتين ، ومن صلّىٰ ثنتي عشرة ركعة بنى الله لهُ بيتاً في الجنة .

وما مِنْ يوم ولا ليلة إلّا لله مَنٌّ يَمُنُّ به على عباده وصدقةٌ ، وَمَا مَنّ الله على أحد مِنْ عِبادِهِ ؛ أفضل من أن يُلهمه ذكره » .

٥ ـ بها يدخل الجنة من باب الضحى :

روى الطبراني ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إنَّ في الجنة باباً يقال له : الضحى ، فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : أين الذين كانوا يُديمون صلاة الضحى ؟ هذا بابكم فادخلوه برحمة الله تعالى » .

٦ ـ بها يَكفي الله تعالى العبد ما أهمه في ذلك اليوم ، ويدخل في ضمان الله تعالى :

روى الترمذي ، عن أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا ابن آدم لا تُعْجِزْنِي مِنْ أربع ركعات من أوَّلِ النهار أَكفِكَ آخره » .

وروى الإمام أحمد ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « قال الله عز وجل : اِبْنَ آدم صَلِّ لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » .

٧ ـ بها يُؤدي العبد حقوق الصدقات عن أعضائه :

فَإنَّ العبد متى أصبح وجب عليه أن يتصدق عن أعضائه كلها ، وإنّ

صلاة الضحى تَفي بذلك كله .

روى مسلم ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « يصبح على كل سُلامىٰ ـ أي : عضو ـ مِنْ أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وَيُجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » .

وروى الإمام أحمد ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « في الإنسان ستون وثَلٰثمائة مَفْصِل ، فعليه أن يتصدق عن كل مَفْصِل منها صدقة » .

قالوا : فَمَنْ يُطيق ذلك يا رسول الله ؟

قال : « النخامة في المسجد تدفنها ، والشيء تُنَحِّيْه عن الطريق ، فإن لم تقدر فركعتا الضحى تجزىء عنك » .

فضائل قيام الليل

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ .

أيْ أخي : إن قيام الليل شعار الصالحين ، فيه فضائل كثيرة ، وخيرات غزيرة ، وإنني أَذكر لك طائفة منها لعلها تنفخ فيك روح

النشاط ، وتحملك على المواظبة على قيام الليل ؛ ولو ساعة قبيل الفجر ، تُصلي فيها ، وتقرأ ما يتيسر لك من القرآن الكريم ، وتختم ذلك بالدعاء والابتهال والاستغفار ، وها هي طائفة من الفضائل أذكرها بالترتيب :

١ ـ صلاة الليل هي أفضل الصلاة بعد الفريضة :

روى مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » .

وروى الطبراني ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أنَّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « فضل صلاة الليل على صلاة النهار: كفضل صدقة السر على صدقة العلانية» .

وروى الطبراني ، عن سَمُرة رضي الله عنه قال : (أمرنا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أن نصلي من الليل ما قل أو كثر ، ونجعل آخر ذلك وتراً) .

وفي (الصحيحين)، عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : (إن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه) ـ أي : تتشقق وتتورم ـ .

فقلت له : لِمَ تَصنع هذا وَقَد غُفِر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟!

قال : « أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً » .

٢ ـ من واظب على قيام الليل يدخل الجنة بغير حساب :

روى البيهقي ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « يُحشر الناس في صعيد واحد يوم القيامة ، فينادي مناد فيقول : أين الذين كانوا

تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع ؟ فيقومون وهم قليل ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب » .

٣ ـ قيام الليل قربة إلى الله تعالى وَمُكَفِّرَةٌ للسيئات :

روى الترمذي ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « عليكم بقيام الليل : فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى ربكم ، وَمَكْفَرَةٌ للسيئات ، ومنهاة عن الإثم » .

٤ ـ قيام الليل صحة للجسد :

روى الطبراني ، عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومقربة لكم إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم ، ومطردة للداء عن الجسد » .

٥ ـ من واظب على قيام الليل دخل غرفة الجنة بسلام :

روى الترمذي ، عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : أول ما قدم رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم المدينة انجفل الناس إليه ـ أي : أسرعوا إليه ـ فكنت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه واستَثْبَتُّهُ ؛ عرفت أن وَجْهه ليس بوجه كذاب ، قال : فكان أول ما سمعت من كلامه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أن قال : « أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلُوا الأرحام ، وصَلُّوا بالليل والناس نيام : تدخلوا الجنة بسلام » .

وروى الطبراني بإسناد حسن، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « في الجنة غرفة يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها » .

فقال أبو مالك الأشعري رضي الله عنه : لِمَن هي يا رسول الله ؟

فقال : « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائماً والناس نيام » .

وروى ابن حبان وغيره ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي ، وقرت عيني ، أنبئني عن كل شيء ؟

فقال : « كل شيء خُلِقَ من الماء » .

فقلت : أخبرني بشيء إذا عملته دخلت الجنة .

فقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « أطعم الطعام ، وأفش السلام ، وَصِلِ الأرحام ، وَصَلِّ بالليل والناس نيام : تدخل الجنة بسلام » .

٦ ـ قيام الليل فيه شرف المؤمن في الدنيا والآخرة :

روى الطبراني بإسناد حسن ، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : جاء جبريل إلى النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فقال : « يا محمد عِش ما شئت فإنك ميِّتٌ ، واعمل ما شئت فإنك مَجْزِيٌّ به ، وأحْبِبْ مَنْ شِئت فإنك مفارقه . وٱعلم أَنَّ شرف المؤمن قيامه في الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » .

وروى البيهقي ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « أشراف أمتي حملة القرآن ، وأصحاب الليل » أي : قوام الليل .

٧ ـ من قام فصلّىٰ في الليل لا يخيب :

روى الطبراني ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ما خَيَّبَ الله امرأً قام في جوف الليل ؛ فافتتح سورة البقرة وآل عمران» .

٨ ـ من قام يصلي في الليل فقد تعرض لنفحات القرب الرباني :

روى الترمذي، عن عَمرو بن عَبْسَةَ رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول: «أقرب ما يكون الربُّ من العبدِ في جوف الليل الآخر، فإنِ استطعت أن تكون مِمَّنْ يذكر الله تعالى في تلك الساعة فكن» .

وفي (الصحيحين) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا ؛ حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : مَنْ يَدعوني فأستجيب له ؟ مَنْ يَسألني فَأعطيه ؟ مَنْ يَستغفرني فَأغفر له ؟ » .

٩ ـ قائم الليل يُكْتَبُ في الذاكرين الله كثيراً والذاكرات :

روى أبو داود ، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « إذا أيقظ الرجل أَهله من الليل ، فصليا أو صلّىٰ ركعتين جميعاً : كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » .

١٠ ـ مَنْ قام في الليل وأيقظ أهله للصلاة في الليل : وجبت لهما الرحمة ، وثبتت لهما المغفرة :

روى أبو داود ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « رَحِمَ اللهُ رجلاً قام من الليل ؛ فصلّىٰ وأيقظ امرأته ، فإنْ أَبَتْ نَضَح ـ أي : رش ـ في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت في الليل فصلت ؛ وأيقظت زوجها ، فإنْ أبى نضحت في وجهه الماء » .

وروى الطبراني ، عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما مِنْ رجل يستيقظ من الليل ، فيوقظ امرأته ؛ فإنْ غلبها النوم نَضح في

وجهها الماء ، فيقومان في بيتهما ، فيذكران الله عز وجل ساعة من الليل : إلا غُفر لهما » .

وروى الحاكم وصححه، عن أبي عبيدة رضي الله عنه قال : قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه : (مكتوب في التوراة: لقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع : ما لم تَرَ عَيْنٌ ، ولم تَسْمَعْ أذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، ولا يعلمه مَلَكٌ مُقَرَّب ، ولا نبي مرسل) .

قال عبد الله : ونحن نقرؤها ـ أي : في القرآن الكريم ـ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ الآية .

وعن بعض الصالحين ، أنه رأى سفيان الثوري في النوم بعد موته فقال له : كيف أنت يا أبا سعيد ؟

فأنشأ يقول :

نظرت إلى ربي عَياناً فقال لي هنيئاً رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قَوّاماً إذا الليل قد دجا بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أَيّ قصر تريده وزرني فإني عَنْك غير بعيد

فضل إطالة قراءة القرآن الكريم في الليل

روى مسلم في صحيحه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو يُنفقه آناء الليل وآناء النهار » .

وروى أبو داود ، عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما

قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَنْ قام بِعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، وَمَنْ قام بمائة آية كُتب من القانتين ، وَمَن قام بألف آية كُتب من المقنطِرين » أي : مِمَّنْ كُتِبَ له قنطار من الأجر .

وروى الطبراني ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « مَن قرأ عشر آيات في ليلة كُتب له قِنطار ، والقنطار خير من الدنيا وما فيها ، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل : اقرأ وارق ؛ بكل آية درجة ، حتى ينتهي إلى آخر آية معه ، يقول الله عز وجل للعبد : اقبض . فيقول العبد بيده : يا رب أنت أعلم . يقول : بهذه الخلد ، وبهذه النعيم » .

وروى الطبراني ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « منْ قرأ عشر آيات في ليلة لم يُكتب من الغافلين ، ومن قَرأ مائة آية كُتب له قُنوت ليلة ، وَمَن قرأ مائتي آية كُتب من القانتين ، وَمَنْ قرأ أربعمائة آية كُتب من العابدين ، وَمَن قرأ خمسمائة آية كُتب من الحافظين ، وَمَن قرأ ستمائة آية كُتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثمانمائة آية كتب من المُخْبِتين ، وَمَن قرأ ألف آية أصبح له قنطار ، والقنطار ألف ومائتا أوقية ، والأُوقية خير مما بين السماء والأرض ـ أو قال : « خير مما طلعت عليه الشمس » ـ وَمَنْ قَرأ ألفي آية كان من الموجِبِيْنَ » .

سمع بعض الصالحين المؤذن يقول في نصف الليل :

يا رجال الليل جدوا ... رُبَّ داعٍ لا يُرَدُّ

ما يقوم الليل إلا ... مَنْ لهُ عزم وجد

فقال له الصالح زدني . فقال :

قَدْ مضى الليل وَولّىٰ ... وَحبيبي قد تَجلّىٰ

فصاح الصالح وَخَرَّ مغشياً عليه .

الصلاة على النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وفوائدها

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ .

الصلاة من الله تعالى تشتمل على الرحمات الخاصة ، والخيرات والفضائل والتعطف ، ومن الملائكة : الدعاء والتبريك والاستغفار . والمقصود من الآية : أَن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة نبيه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم عنده في الملأ الأعلى ، بأنه يُصلي عليه عند الملائكة المقربين ، وأنَّ الملائكة المقربين بالقرب الخصوصي ـ حيث أضافهم لنفسه سبحانه ـ تصلي عليه ، ثم أمر أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ، ليجتمع الثناء عليه والتعظيم من العالَمين جميعاً .

وفضائل الصلاة عليه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أكثر من أن تُذْكَرَ ، وإنّما نذكر جملة منها :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « من صلّىٰ عليَّ صلاة واحدة : صَلّىٰ الله عليه عشر صلوات ، وَحُطت عنه عشر خطيئات ، وَرُفعت له عشر درجات » رواه النسائي .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إنّ أولى الناس بي يوم القيامة : أكثرهم عَلَيّ صلاة » .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « البخيل الذي ذُكرت عنده فلم يُصَلِّ عَلَيَّ » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « رَغِمَ أنفُ رجل ذُكرت عنده فلم يُصَلِّ عَلَيَّ ، وَرَغِم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغْفَرَ له ، وَرَغِم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يُدخلاه الجنة » رواهما الترمذي .

وينبغي إحضار القلب وإخلاص النية عند الصلاة عليه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فإنها معروضة عليه ﷺ ، كما روى الحاكم وابن ماجه ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « أكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة ، فإنّه مشهود ، تَشهده الملائكة ، وما أحد يُصَلِّيْ عَلَيَّ إلا عُرِضَتْ عَلَيَّ صلاته حين يَفرغ منها» .

قال : قلت : وبعد الموت ؟

قال : «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» .

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : (من صلّىٰ على النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم واحدةً صلّىٰ الله عليه وملائكته سبعين صلاة) .

وقال : خرج علينا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يوماً كالمودع فقال : « أنا محمد النبي الأمي ـ قاله ثلاث مرات ـ ولا نبي بعدي ، أُوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه ، وَعَلِمْتُ كم خزنة النار ، وحملة العرش ، وَتُجُوِّزَ بي ، وَعُوفِيْتُ وَعُوْفِيَتْ أمتي ، فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم ، فإذا ذُهِبَ بي فعليكم بكتاب الله : أَحلوا حلاله ، وحرموا حرامه » رواه أحمد رضي الله عنه .

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » .

والخيرات والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم جَمَّةٌ وافرة، نذكر عِدَّة قطرات من بحورها :

١ ـ موافقة الملائكة . ٢ ـ صلاة الله تعالى ورسوله والملائكة على المصلي . ٣ ـ يجاب بها الدعاء . ٤ ـ هي سبب الشفاعة الخاصة . ٥ ـ تَرْفَعُ الدرجات وَتَحُطُّ الخطايا . ٦ ـ تُذهب الفقر والهم والغم . ٧ ـ نور لصاحبها في جميع العوالم . ٨ ـ سبب لبشارة العبد بالجنة قبل موته . ٩ ـ سبب لعرض اسم المصلي على حضرته الشريفة صلّىٰ الله عليه وآله وسلم . ١٠ ـ سبب لمحبته صلّىٰ الله عليه وآله وسلم . ١١ ـ سبب للصحبة له صلّىٰ الله عليه وآله وسلم في عالم البرزخ . ١٢ ـ يَتذكر بها الناسي ما نَسِيَهُ . ١٣ ـ فيها الأمان مما يخافه . ١٤ ـ سبب لحياة القلوب ، وشرح الصدور ، وحلول السرور . ١٥ ـ إنها سبب لمحبة الملائكة ، وإعانتهم ، وترحيبهم بالمصلي عليه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم . ١٦ ـ فيها الأمان من سخط الله تعالى . ١٧ ـ سبب الدخول في ظلال العرش يوم القيامة . ١٨ ـ سبب الأمن من العطش يوم يشتد على الخلائق . ١٩ ـ سبب لثبات القدم على الصراط . ٢٠ ـ سبب لدخولك تحت كنفه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، ونزولك في رحابه . نسأل الله تعالى ذلك من فضله وكرمه .

وجميع ما تقدم من الفوائد جاء بالأحاديث النبوية أو الآثار السلفية وانظر للتوسع كتابي (الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) .

* * *

عدد ركعات صلاة التراويح

اختلف الأئمة العلماء في عدد ركعات صلاة التراويح

قال الإمام الترمذي في (سننه) : واختلف أهل العلم في قيام رمضان ـ أي : صلاة التراويح ـ فرأى بعضهم أن يصلي إحدى وأربعين ركعة مع الوتر ، وهو قول أهل المدينة ، والعمل على هذا عندهم بالمدينة .

قال الترمذي : وأكثر أهل العلم على ما روي عن عُمَرَ وعلي وغيرهما من أصحاب النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ورضي الله عنهم عشرين ركعة ، وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي . وقال الشافعي : وهكذا أدركت ببلدنا مَكة يُصلون عشرين ركعة .

وقال الإمام أحمد : رُوي في هذا ـ أي : عدد صلاة التراويح ـ ألوان ـ أي : آثار ـ مختلفة في العدد . ولم يقض فيه بشيء .

وقال إسحاق : بل نختار إحدى وأربعين ركعة على ما روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه . اهـ كلام الترمذي في (سننه) .

وذهب بعض العلماء من المحدِّثين وغيرهم : إلى أنَّ عدد صلاة التراويح هو ثمان ركعات ، واستدلوا على ذلك بما في البخاري وغيره ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها سئلت كيف كانت صلاة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم في رمضان ؟

فقالت : (ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ، يُصَلِّي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يُصَلِّي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثاً) ـ أي : الوتر ـ .

فقلت : يا رسول الله تنام قبل أن توتر .

فقال : « يا عائشة إنّ عَيْنَيَّ تنامان ولا ينام قلبي » .

حجة من قال
إنَّ صلاة التراويح عشرون ركعة

إن أدلة جمهور العلماء ، والأئمة الحنفية ، والشافعية ، والمالكية ، والحنبلية ، على أن التراويح عشرون ركعة هي كثيرة نذكر جملة منها :

١ ـ روى البيهقي في (معرفة السنن والآثار) عن السائب بن يزيد قال : (كنا نقوم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعشرين ركعة ، والوتر) قال النووي في (الخلاصة) : إسناده صحيح . كما نقله القارىء في (المرقاة) ، وابن الهُمَام في (فتح القدير) .

٢ ـ روى الإمام مالك في (الموطأ) عن يزيد بن رومان أنه قال : (كان الناس يقومون في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رمضان بثلاث وعشرين ركعة) ـ أي : مع الوتر ـ وإسناده قوي كما نبه على قوته في (بذل المجهود) .

٣ ـ روى ابن أبي شيبة ، عن يحيى بن سعيد (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر رجلاً يُصلي بهم عشرين ركعة) إسناده قوي .

٤ ـ روى ابن أبي شيبة في (مصنفه) عن عبد العزيز بن رفيع قال : (كان أبي بن كعب رضي الله عنه يُصلي بالناس في رمضان بالمدينة عشرين ركعة ، يوتر بثلاث) إسناده قوي كما في (بذل المجهود) .

٥ ـ روى ابن أبي شيبة ، عن عطاء قال : (أدركت الناس وهم يصلون ثلاثاً وعشرين ركعة بالوتر) إسناده حسن كما في (بذل المجهود) .

٦ ـ روى البيهقي عن أبي الخطيب قال : (كان يَؤُمنا سُويد بن غَفَلَة في رمضان ، فيصلي خمس ترويحات ؛ عشرين ركعة) وإسناده حسن كما في (بذل المجهود) .

٧ ـ روى ابن أبي شيبة ، عن نافع قال : (كان ابن أبي مُلَيْكَةَ يُصلي بنا في شهر رمضان عشرين ركعة) إسناده صحيح .

٨ ـ روى ابن أبي شيبة عن سعد بن عبيد : (أن علي بن ربيعة كان يصلي بهم في رمضان خمس ترويحات ـ أي : عشرين ركعة ـ ويوتر بثلاث) إسناده صحيح ، كما نبه على ذلك كله في (بذل المجهود شرح سنن أبي داود).

٩ ـ روى محمد بن نصر في باب عدد الركعات التي يقوم بها الإمام للناس في رمضان ، عن زيد بن وهب قال : كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يُصلي بنا في شهر رمضان ، فينصرف وعليه ليل ، قال الأعمش : كان ابن مسعود رضي الله عنه يصلي عشرين ركعة ، ويوتر بثلاث .

١٠ ـ وروى محمد بن نصر أيضاً في الباب المتقدم ، عن عبد الله بن قيس ، عن شُتير ـ وكان من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم المعدودين ـ أنه كان يصلي بهم في رمضان عشرين ركعة ، ويوتر بثلاث .

فهذه الأحاديث والآثار باجتماع بعضها إلى بعض ، وتقوية بعضها لبعض ، تَثْبُتُ بها حجة صحيحة ، وأدلة صريحة على أن صلاة التراويح هي عشرون ركعة ، وذلك من وجوه متعددة :

١ ـ هذه الآثار بجميعها تدل على أن عدد العشرين له أصل في عمل

عشرون ركعة ليس قولاً ضعيفاً ، بل جرى عليه جماهير الصحابة والتابعين ، كما دلت عليه الآثار السابقة .

٢ ـ إن هؤلاء الأئمة من الصحابة والتابعين الذين تقدم ذكرهم ليسوا بمبتدعين ، ولكنهم متبعون سنن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فمن المحال دِيناً وشرعاً أن يُصلوا في رمضان بعشرين ركعة ، ويؤموا الناس ، وتتبعهم الجماهير من الناس يقتدون بهم ، من المحال أن يكون ذلك من تلقاء أنفسهم ، دون أن يكون لهم دليل ثابت عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم بعدد العشرين .

٣ ـ أتظن أن عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم وَمَنْ بعدهم من التابعين الذين تقدم ذكرهم ، أتظن أنهم تركوا العمل بالحديث الذي يدل على أن صلاة التراويح ثمانية ، وصلوها عشرين ركعة من غير دليل ثابت عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم . كلا وحاشاهم من ذلك .

بل لا بد وأَنَّ لهم من سنة النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ما يُثبت هذا العدد العشرين ، ولو لم تصَل إلينا روايته بالاتصال والإسناد الصحيح .

٤ ـ يؤيد ما ذكرناه ، ما روى الطبراني وابن أبي شيبة والبيهقي ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان يصلي في رمضان عشرين ركعة سوى الوتر . وإسناده ضعيف ، ولكن الآثار المتقدمة تؤيده وتنهض به .

٥ ـ إنّ تمسك سيدنا عمر رضي الله عنه بالسنة ، ومخالفته للبدعة هو أمر معروف به ، مشهور عنه ، فقد صح عنه أنه لما قَبَّل الحجر الأسود قال : (قد علمت أنك لا تضر ولا تنفع ، أما والله لولا أني رأيت

رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يُقَبِّلُكَ ما قبلتك) فلولا أنه ثبت لديه عدد العشرين عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم لما كان أَقْدَمَ على ذلك ، ولما حمل الناس عليه .

٦ ـ إنَّ سكوت الصحابة رضي الله عنهم وإقرارهم لحمل عمر رضي الله عنه الناس على صلاة التراويح عشرين ركعة : دليل على ثبوت هذا الأمر عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، سيما والسيدة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها ، فإن سكوتها وعدم اعتراضها دليل الموافقة على حقيقة فعل عمر رضي الله عنه ، إذ لو كان فعل عمر رضي الله عنه غير موافق لسنة النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم لاعترضته الصديقة رضي الله عنها ، فإنه ليس جباراً يُخشى من نقده واعتراضه ـ كما يدل عليه موقفه مع المرأة .

فقد روى الحافظ أبو يعلى بإسناده ، عن مروان قال : ركب عمر بن الخطاب رضي الله عنه منبر رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ثم قال : (أيها الناس ما إكثاركم في صَدَاق النساء ، وقد كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وأصحابه يجعلون الصَّدُقات ـ أي المهور ـ فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك ، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله ، أو كرامة لم تسبقوهم إليه ، فلا أعرفن ما زاد رجل في صَدَاق امرأة على أربعمائة درهم) ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين نَهَيْتَ الناس أن يزيدوا في مَهر النساء على أربعمائة درهم؟

فقال : نعم .

فقالت : أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟

قال : وأيّ ذلك .

فقالت : أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ .

فقال عمر رضي الله عنه : اللهم غَفراً . كل الناس أفقه منك يا عمر .

وفي رواية فقال : امرأة أصابت ورجل أخطأ .

ثم رجع فركب المنبر فقال : أيها الناس إني كُنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صَدقاتهن على أربعمائة درهم ، فمن شاء أن يعطي مِنْ ماله ما أحبَّ فليفعل . إسناده جيد قوي .

٧ ـ إنَّ أمر عمر رضي الله عنه للناس أن يصلوا التراويح عشرين ركعة، هو قول لا مجال للرأي والاجتهاد فيه ، فلا بُدَّ وأنَّ له دليلاً من المرفوع إلى النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، كما جاء في (الاختيار) عن أبي يوسف قال : سألت أبا حنيفة عن التراويح ، وما فعله عمر رضي الله عنه .

فقال : التراويح سنة مؤكدة ، ولم يَتَخَرَّصْهُ عمر رضي الله عنه من تلقاء نفسه ، ولم يكن فيه مبتدعاً ، ولم يأمر به إلا عن أصل لديه وعهد من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

٨ ـ إذا صلينا صلاة التراويح عشرين ركعة لا نكون خالفنا فعل النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وسنته ، بل نكون حققنا العمل بسنته صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وطبقناها على الوجه الذي فهمه الصحابة من سنة التراويح، فإن عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم قد صلوها عشرين ركعة ، وهم متبعون لسنته صلّىٰ الله عليه وآله وسلم الثابتة عندهم ، فإذا صليناها نحن كذلك فقد عملنا بالسنة وفقاً لما فهمه هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم ، ووفقاً لما ثبت عندهم من عدد

٩ ـ إذا صلينا صلاة التراويح عشرين ركعة نكون قد حَققنا العمل بسنة التراويح على الوجه الذي أمرنا به رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم حيث قال : « اقتدوا باللَّذيْن من بعدي : أبي بكر وعمر » رواه الترمذي . وقوله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإنَّ كل بدعة ضلالة » .

وبهذا يُعلم أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم ليسوا بمبتدعة ، بل هم أئمة مُتَّبَعة ، ونحن إذا صليناها عشرين ركعة نكون وافقنا اتباع الحق الثابت عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم على الوجه الذي فهمه عمر رضي الله عنه ، وثبت لديه وحمل عليه الناس .

فقد روى الترمذي وصححه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه ، وقال فيه عمر إلا نَزَل القرآن فيه على نحو ما قال عمر رضي الله عنه .

فيقال لمن أنكر عدد العشرين ، وزعم أَنَّ الحق خلاف ما أمر به عمر رضي الله عنه : بل الحق هو عدد العشرين كما أمر عمر رضي الله عنه بذلك ، وأقره الصحابة ، لأن الله تعالى جعل الحق على لسانه وقلبه ، بشهادة النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

١٠ ـ ولا يُعارض في هذا ما جاء في (الموطأ) من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد أمر أن يُصلَّى التراويح مع الوتر إحدى

عشر ركعة ، فإنَّ هذا محمول على أنه كان أَمَرَ بذلك في مبدأ الأمر ، كما ثبت في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها الذي تقدم ، ثم بعد ذلك أمر أن يصلوا التراويح عشرين ركعة ، لما ثبت عنده وعند غيره من أنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم صلاها عشرين ، بدليل استقرار أمرهم عليه .

١١ ـ يدل على ذلك أنَّ الإمامَ مالكاً رضي الله عنه الذي روى عدد الثمانية ، وعدد العشرين ، لم يأخذ برواية الثمانية ، بل أخذ برواية عدد العشرين ، كما جاء في مختصر خليل قال : ثم جُعلت ستاً وثلاثين .

قال الشارح : وهو اختيار مالك في (المُدَوَّنة) قائلاً : هو الذي لم يزل عليه عمل الناس . أي : في المدينة المنورة .

وأخيراً نقول : إن الذين تقدم ذكرهم من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قد أثبتوا عدد العشرين ، وكذلك الأئمة الأربعة ومن يلوذ بهم ، جميع هؤلاء أمناء أتقياء ورعون ، متبعون غير مبتدعين ، فاستجهالهم ، والطعن فيهم ، أو تخوينهم في النقل ؛ يؤدي إلى الطعن في صميم الشريعة وأحكامها . لأنهم نقلة الشريعة ورجال سندها .

ولا بد من إجمال القول في هذا الفصل لأنه يَحتاج إلى رسالة خاصة . والله ولي التوفيق .

* * *

ما يقوله مَنْ يئس من حياته

عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وهو بالموت ، وعنده قَدَحٌ فيه ماء ، وهو يُدخل يده في القدح ثم يَمسح وجهه بالماء ، ثم يقول : « اللهم أعِنّي على غمرات الموت ، وسكرات الموت » رواه الترمذي وغيره .

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وهو مُستند إليَّ يقول : « اللهم اغفر لي ، وارحمني ، وألحِقْني بالرفيق الأعلى » متفق عليه .

قال الإمام النووي رضي الله عنه : ويستحب أن يُكثر من القرآن والأذكار ، ويُكره لَهُ الجزع وسوء الخُلُقِ ، والشتم والمخاصمة والمنازعة ؛ في غير الأمور الدينية . ثم قال : ويستحب له أن يوصيَ أهله وأصحابه بالصبر عليه في مرضه ، واحتمال ما يَصدر منه .

ثم قال : ويَجتهد في وصيتهم بترك البكاء عليه ويقول لهم : صح عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « الميت يُعذب ببكاء أهله عليه » فإياكم يا أحبابي والسعي في أسباب عذابي . إلخ . .

ثم قال رضي الله عنه : وإذا حضره النَّزْع فليكثر من قول : لا إلّه إلا الله . ليكون آخر كلامه ، فقد روينا في الحديث المشهور في (سُنن) أبي داود وغيره ، عن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَنْ كان آخر كلامه لا إلّه إلا الله دخل الجنة » وفي (صحيح) مسلم وغيره ، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال

رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « لقنوا موتاكم لا إلّه إلا الله » .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « اقرؤوا يٓس على موتاكم » رواه الترمذي .

وعن الشعبي قال : كان الأنصار إذا حضروا قرؤوا عند الميت سورة البقرة . كما في (أذكار) النووي .

فضل التعزية وما يقال فيها

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ عَزّى مُصاباً فله مثل أجره » رواه الترمذي .

وفي (سنن) ابن ماجه والبيهقي بإسناد حسن ، عن عمرو بن حزم رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « ما من مؤمن يُعزِّي أخاه بمصيبته إلا كساه الله عز وجل مِنْ حُلل الكرامة يوم القيامة » .

قال الإمام النووي رضي الله عنه : واعلم أنَّ التعزية هي التصبير ، وَذِكْرُ ما يُسلي صاحب الميت ، وَيُخَفِّفُ حُزنه ، ويهون مُصيبته ، وهي مستحبة ، فإنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي داخلة أيضاً في قوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ .

قال النووي رضي الله عنه : وأما لفظ التعزية فلا حَجر فيه ، فبأيّ لفظ عَزَّاه حصلت ، واستحب أصحابنا أن يقول في تعزية المسلم بالمسلم : أعظم الله أجرك ، وأحسن عزاءك ، وَغَفر لميتك ، ثم قال : وأحسن ما يعزىٰ به ، ما روينا في (الصحيحين) عن أسامة رضي الله عنه قال : أرسلت إحدى بنات النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إليه تدعوه ، وَتُخْبِرُه أنَّ صَبيّاً أو ابناً في الموت .

فقال للرسول ـ الذي جاء بالخبر ـ : « اِرجع إليها فأخبرها أَنّ لله

ما أخذ ، وله ما أعطىٰ ، وكل شيء عنده بأجل مُسَمّى . فَمرها فلتصبر ولتحتسب » .

ما يقول إذا دخل المقبرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم خرج إلى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إنْ شاء الله بكم لاحقون » رواه النسائي وغيره .

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كيف أقول يا رسول الله؟ تعني : في زيارة القبور .

قال : « قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المتقدمين منا ومنكم والمتأخرين ، وإنّا إنْ شاء الله بكم لاحقون » .

قال في (الأذكار) : وَيُستحب للزائر الإكثار من قراءة القرآن ، والذكر والدعاء لأهل تلك المقبرة ؛ وسائر الموتى والمسلمين أجمعين ، والإكثار من الزيارة ، والوقوف عند قبور أهل الخير والفضل .

* * *

بيان وصول ثواب القراءات وسائر الخيرات والمبرات إلى الأموات

لقد ثبت بأدلة القرآن والسنة وكلام الأئمة رضي الله عنهم أن الميت يَنْتفع بعمله ؛ وبعمل غيره :

أما أدلة القرآن العظيم : فقد قال الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ

بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ ، فإن الله تعالى أثنى على الخلف المؤمنين لما استغفروا لإخوانهم السابقين ، فهذا نَصٌّ على أن الأموات ينتفعون بدعاء الأحياء ، واستغفارهم ، مع أن دعاء الأحياء ليس من عمل الأموات ظاهراً ؛ بل قد جاء في القرآن الكريم أن كبار الرسل صلوات الله تعالى عليهم ، قد استغفروا للمؤمنين الذين لاقوهم ؛ والذين لَمْ يروهم ؛ بل سيأتون بعدهم ، قال الله تعالى إخباراً عن نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا﴾ . فيقال لمن يُنكر وصول الثواب إلى الغير ـ يقال له : أتحب أن تشملك دعوة نوح عليه السلام بالمغفرة ، فتكون من المؤمنين ، أم أنت يائس من ذلك ؛ فتدخل في جملة : ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا﴾ .

وقال الله تعالى إخباراً عن إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ فشمل دعاء الخليل كل مؤمن .

وقال الله تعالى للسيد الأعظم صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ .

أفترى رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يتخلف عن أمر ربه سبحانه . حاشاه ، بل لا بد وأن يشمل استغفاره كل مؤمن وكل مؤمنة ، كلاً على حسب إيمانه ويقينه ، فلولا أن المؤمنين ينتفعون بدعاء واستغفار الأنبياء لهم ما ذكر الله تعالى ذلك ، فدل على أَنّ المؤمن ينتفع بعمل غيره ، بل قد أخبر الله تعالى عن كبار الملائكة صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم أجمعين ، أنهم يستغفرون

للمؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ الآيات الكريمة، فإذا كان المؤمن لا ينفعه عمل غيره فأيُّ فائدة في استغفار الملائكة والأنبياء له ، بل في هذه الآية دليل على أنَّ الأنبياء صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم ، هم الآن يستغفرون للذين آمنوا ، لأنهم قد التحقوا بالرفيق الأعلى ، فشملهم قول الله تعالى : ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ أي : من الملأ الأعلى ، وأولهم وأعظمهم سيدنا محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، ولهذا جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « حياتي خير لكم ، تُحدثون وَيُحْدَث لكم ، ووفاتي خير لكم[1] تُعرض عَلَيَّ أعمالكم ، فما رأيت من خير حَمِدت الله ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم » رواه البزار ، وقد جَوّد الحافظ العراقي إسناده ، وقال الحافظ الهيثمي : رجال إسناده رجال الصحيح، وقال الحافظ السيوطي: إسناده صحيح.

وقد شرع الله تعالى الصلاة على الميت ، وما هي إلا دعاء واستغفار للميت ، وهي لَيْست من أعمال الميت ، بل هي أعمال المُصَلِّين عليه ، فلولا أنَّ الميت ينتفع بعمل غيره لَما شرع الله تعالى الصلاة على

---

(١) ربما يقول بعض ضعفاء القلوب : إنّ هذا الحديث معارض بحديث الحوض في (الصحيحين) إنّ رجالاً يُؤخذ بهم ذات الشمال ، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم : « أمتي أمتي ، فيقال : إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك » .

فالجواب : إن هؤلاء كفار مُرْتَدون ، فلا تُعرض أعمالهم عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن فائدة العرض هي : إن رأى خيراً حَمِد الله ، وإنْ رأى شراً استغفر لعامله ، وهذا إنما يكون في المؤمنين ، وأما الكفار فليس لهم خير يُحمدون عليه ، وما كان منهم مِنْ شر فإنّه لا يُغفر ، لأن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به . فلا تعارض بين الحديثين .

الأموات ، وقد روى مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء » .

وروى أبو داود ، عن عثمان رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا فرغ من دفن الميت ، وقف على قبره وقال : « استغفروا لأخيكم ، واسألوا له التثبيت ، فإنّه الآن يُسأل » .

وأما الأحاديث النبوية : فقد دلت على وصول ثواب الصدقات ، والصيام ، والحج ، والقراءات ونحو ذلك ، كل ذلك يصل ثوابه إلى الأموات .

أما الصدقات : ففي (الصحيحين) عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أنّ رجلاً أتى النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها ـ أي : ماتت فجأة ـ ولم تُوصِ ، وأظنها لو تكلمت تَصَدقت ، فهل لها أجر إن تصدقت عنها ؟

قال : « نعم » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلاً قال للنبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : إنّ أبي مات ولم يُوص ، أفينفعه أنْ أتصَدق عنه ؟

قال : « نعم » رواه مسلم .

وأما وصول ثواب الصيام : ففي (الصحيحين) ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « من مات وعليه صيام صام عنه وَلِيُّهُ »[1] .

---

(١) أخذ بظاهره بعض الأئمة كالشافعي وغيره ، وأما الأئمة الحنفية فقالوا : بنسخه لدليل آخر ، وإنما يُفدىٰ عَن كل يوم أفطره الميت : نِصف صاع من حنطة ، أو صاعاً من شعير ، أو قيمة ذلك .

وأما وصول ثواب الحج : فروى البخاري ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنَّ امرأة من جُهينة جاءت إلى النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فقالت : إن أمي نذرت أن تحج ، فلم تحج حتى ماتت ، أفأحج عنها ؟ .

قال : « نعم حجي عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضِيَتِهِ ؟ اقضوا الله ، فالله أحق بالقضاء » .

وروى النسائي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رجلاً قال : يا نبي الله إنَّ أبي مات ولم يحج أفأحج عنه ؟ .

قال : « أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيه » ؟

قال : نعم قال : « فدين الله أحق » .

* * *

إهداء ثواب القراءة للأموات
واستحسان القراءة على القبور

وأما وصول ثواب القراءات للأموات فله عدة أدلة :

أولًا : الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، وأبو داود وابن ماجَهْ ، وابن حبان ، والحاكم ، عن معقل بن يسار رضي الله عنه ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « اقرؤوا على موتاكم يٓس »[1] وهذا يشمل القراءة حال الاحتضار ، وبعد الوفاة ، لأن الحديث مطلق ، فلا

---

(١) وما قيل في إسناده من المقال يرتفع بتعدد طُرُقِهِ فيحسن لغيره ، كما رمز إليه السيوطي رحمه الله تعالى .

يجوز تقييده بدون دليل .

وفي رواية عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « قلب القرآن يّس ، لا يقرؤها رجل يُريد الله والدار الآخرة إلَّا غفر الله له ، اقرؤوها على موتاكم » وهذا لفظ النسائي .

ثانياً : أسند الحافظ الخلال في جامعه : كتابُ القراءة عند القبور إلى عَلي بن موسى الحداد قال : كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة ، فلما دُفن الميت جلس ضرير يقرأ عند القبر ، فقال له أحمد بن حنبل : يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة .

فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل : يا أبا عبد الله ما تقول في مُبَشَّر الحلبي ؟ قال : ثقة . فقال كَتَبْتَ عنه شيئاً ؟ ، فقال : نعم .

قال : فأخبرني مبشر الحلبي ، عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج ، عن أبيه أنه أوصىٰ إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها ، وقال : سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يوصي بذلك .

فقال الإمام أحمد : فارجع وقل للرجل الضرير يقرأ .

وقال الإمام النووي : وروينا في (سنن) البيهقي بإسناد حسن : أن ابن عُمَر رضي الله عنهما استحب أن يُقرأ على القبر بعد الدفن : أول سورة البقرة وخاتمتها .

وقال الحسن بن الصباح الزعفراني : سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال : لا بأس بها .

وذكر الحافظ الخلال عن الشعبي قال : كانت الأنصار رضي الله عنهم إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره ـ أي : أكثروا

الذهاب إلى قبره ـ يقرؤون القرآن عنده .

وأسند الحافظ الخلال ، إلى أبي بكر بن أبي بكر بن الأُطروش أنه قال : كان رجل يَجيء إلى قبر أمه يوم الجمعة فيقرأ سورة يٓس ، فجاء في بعض أيامه فقرأ سورة يٓس ، ثم قال : اللهم إن كُنتَ قَسَمت لهذه السورة ثواباً فاجعله في أهل هذه المقابر ـ أي : اقسم ثواب قراءة سورة يٓس بين أهل المقابر ـ .

فلما كان في الجمعة التي تليها ، جاءت امرأة فقالت له : أنت فلان ابن فلانة ؟ قال : نعم ، فقالت : إنَّ بنتاً لي ماتت ، فرأيتها في النوم جالسة على شفير قبرها ، فقلت : ما أجلسك هنا ؟ ـ أيْ : على طرف القبر ـ فقالت : إن فلان ابن فلانة جاء إلى قبر أمه ، فقرأ سورة يٓس ، وجعل ثوابها لأهل المقابر ، فأصابنا من روح ذلك ، أو غُفر لنا بذلك .

وقد نقل النووي في (شرح المجموع) وفي (الأذكار) أنّ الإمام الشافعي رضي الله عنه والأصحاب : نصوا على استحباب قراءة القرآن عند الميت .

ثالثاً : إن الاستغفار مطلوب من الأحياء للأموات : قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ الآية ، وكما دل عليه الحديث « أو ولد صالح يدعو له » وكما دل على ذلك أحاديث زيارة القبور ، فحيث ثَبت ذلك كله ، فما المانع مِن قراءة القرآن عند القبر ، أو في غير موضع القبر وإهداء ثواب القراءة للميت ، سِيَّمَا إذا كانت بغية القارىء إنزال الرحمة والمغفرة والرضوان على الميت ، فهو يقرأ القرآن بقصد أن يُنزل الله تعالى الرحمة

والرضوان ، والسرور والسكينة على الميت ، فهي قراءة تَضَمَّنَت دعاءً واستغفاراً ، وقد ورد في الحديث الصحيح ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « مَنْ شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » .

وبهذا يُعلم أنَّ القراءة على القبور ليست بدعة سيئة ، بل أمر مستحسن شرعاً، فقد أوصى بذلك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وفعله الأنصار أصحاب النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كما تقدم ، وإنّ هؤلاء ليسوا بمبتدعين ما ليس من الدين ، وهكذا فعله التابعون وأتباعهم من غير نكير .

ويقال لمن يدعي ضَعف إسناد ذلك إلى ابن عمر والصحابة الأنصار رضي الله عنهم يقال له : هات دليلاً ثابتاً عن ابن عمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم يَدل على تحريم القراءة على القبور ، أو تحريم القراءة للأموات ، فإن كان خبر الإباحة ضعيفاً فخبر التحريم باطل لا أصل له .

هذا وإنّ لقراءة القرآن نوراً وسكينةً ، ورحمةً تنزل ، وملائكة تتنزل وتدنو ، وكلُّ هذا مِمَّا يأنس به الميت وينعم به ، ويأتيه منه رَوْحٌ وريحان . قال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم لأُسَيْد بن الحضير رضي الله عنه لما قرأ سورة الكهف ليلاً ، ورأى أمثال المصابيح مُدلّاة بين السماء والأرض ، فقال له صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « تلك السكينة تنزلت للقرآن » وفي رواية : « تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن ، أما إنّك لو مضيت لرأيت العجائب » وفي رواية : « تلك الملائكة تَستمع لك » .

وقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم : إلا نزلت عليهم السكينة ،

وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم وأبو داود.

فالميت يستأنس بالقرآن وينعم به ويرتاح بروحه ، ويسكن لسكينته ويستبشر لدنو الملائكة .

فإن قيل : إن الميت لا شعور له بذلك ولا إحساس .

قلنا : بل إن الميت يُحس ويشعر بكل كلام قيل عنده ، ولهذا شُرِع التسليم على الأموات في زياراتهم ، وما ذاك إلا لأنهم يسمعون وَيُحسون ، فقد أوصى عَمرُو بن العاص رضي الله عنهما وهو في سياق الموت فقال : (إذا أنا مِتُّ فَسُنّوا عليَّ التراب سَناً[1] ثم أقيموا حول قبري قدر ما تُنحر جزور ويقسم لحمها ؛ حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي) رواه مسلم.

فدل على أن الميت يستأنس بالحاضرين عنده ، وإن خير ما يُؤنس به كلام الله تعالى .

وسيأتي بقية الأدلة على تحسس الأموات وشعورهم إن شاء الله تعالى .

فإن قال قائل : كيف يصل الثواب إلى الأموات مع أنّ الله تعالى يقول : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ .

فالجواب عن ذلك : إنّ السعي نوعان : سعي مباشر ، وسعْي بالتسبب .

---

(١) الشن هو الصب المتقطع ، والسن هو الصب المتصل كما في (النهاية) ، أي : صبوا التراب شيئاً فشيئاً ، أو مرة واحدةً .

فالسعي المباشر هو مزاولة الإنسان للأعمال بنفسه ، وأن يعملها بنفسه ، كصلاته وصيامه ، وسائر أعماله الخيرية ، التي يعملها بنفسه .

وأما السعي بالتسبب فهو أن يتسبب في أعمال يعملها غيره ، ولكنه يكون هو واسطة فيها ، وسبباً في صدورها عن ذلك العامل ، يشير إلى هذا ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم وغيره ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إنَّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : عِلْمَاً عَلَّمَهُ ونشره ، وَوَلداً صالحاً تركه ، أو مصحفاً وَرَّثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نَهَراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته ؛ تلحقه من بعد موته » رواه ابن ماجه بإسناد حسن ، والبيهقي ، وابن خزيمة .

وعن جرير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَنْ سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها من بعده ؛ من غير أن ينقص من أجرهم شيء ، وَمَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّة سَيِّئَةً كان عليه وزرها ، ووزر من عمل بها ؛ من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » رواه مسلم وغيره .

وقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم لبلال بن الحارث رضي الله عنهما : « اعلم يا بلال » .

قال : ما أعلم يا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم؟ .

فقال : « اِعْلَم أَنَّه من أحيا سُنَّة من سنتي قد أُميتت بعدي : كان له من الأجر مثل مَن عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً . وَمَنِ ابتدع بِدعَةَ ضلالةٍ لا يرضاها الله ورسوله : كان عليه مثل آثام من عمل بها ؛ لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً » قال المنذري : رواه ابن ماجه ، والترمذي وحسنه .

فمن سعىٰ إلى الإسلام ، ودخل في زمرة المسلمين ، ومات على ذلك ، فقد تسبب في أن يناله مِنْ خير إخوانه المسلمين ، ومن معوناتهم في حياته وبعد مماته ، كما قال الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ فالمؤمنون المتأخرون يدعون ويستغفرون للمتقدمين ، والمتقدمون يدعون ويستغفرون للمتأخرين ، كما قال الله تعالى : ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ .

ومن الدليل على ذلك : ما جاء في (مسند) الإمام أحمد وغيره ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن العاص بن وائل ـ وكان كافراً ـ نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة ، وأَنَّ هشام بن العاص نحر خمسةً وخمسين ، وأن عَمْرَو بن العاص سأل النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم عن ذلك ـ أي : هل ينفعه ـ .

فقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « أما أبوك فلو أقر بالتوحيد فَصُمْتَ وتصدقت عنه نفعه ذلك » .

فمن مات على التوحيد فقد تسبب في أن تُقرأ له القراءات ، وتُهدى إليه الخيرات والحسنات ، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

وفي الحديث : « المرء مَعَ مَنْ أحب » .

وفي الحديث : « هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم » فمن جلس مع الصالحين ناله من الخير ما ينالهم ؛ بسبب انضمامه إليهم ؛ وإنْ لم يعمل مثل عملهم .

كل ذلك يدلنا على أنَّ السعي قد يكون بالمباشرة ، وقد يكون بالتسبب فيه ، والتسببات مختلفة متعددة ، وقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « الدال على الخير كفاعله ، والله يحب إغاثة اللهفان » رواه الإمام أحمد وغيره .

وروى الإمام أحمد والطبراني ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إنّ الله عز وجل ليرفع الدَّرجة للعبد الصالح في الجنة ، فيقول : أنّىٰ لي هذه ؟ فيقول الله تعالى : باستغفار ولدك لك » .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « يَتْبَعُ الرجل يوم القيامة من الحسنات أمثال الجبال ، فيقول أنىٰ لي هذا ؟ فيقال : باستغفار ولدك لك » رواه الطبراني .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « مَنِ استغفر للمؤمنين والمؤمنات : كَتَبَ الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة » رواه الطبراني بإسناد جيد .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه سمع النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول : « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سَبْعاً وعشرين مرة ، أو خمساً وعشرين مرة ؛ كان من الذين يُستجاب لهم ، ويرزق بهم أهل الأرض » رواه الطبراني .

وعن عمر رضي الله عنه قال : كنا نُمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر ـ أي : طلب المغفرة من الله تعالى لهم ـ حتى سمعنا النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يقول ـ أي: يقرأ ـ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ وقال : « أخرت شفاعتي لأهل الكبائر يوم القيامة » رواه البزار بسند جيد .

سماع الأموات ما يقال عندهم من السلام والقراءات والدعوات ونحو ذلك

أولًا : قد شرع النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم زيارة الأموات ، والتسليم عليهم بصيغة الخطاب ، وذلك أن يقول الزائر : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » ولا شك أنّ هذا دليل على سماعهم ، ولولا ذلك لكان عبثاً ، بمنزلة الخطاب للمعدوم والجمادات ، كالأحجار ، وأحكام الشرع لا يُوجد فيها عبث .

وكثيراً ما كان صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يزور أهل البقيع ويسلم عليهم . وحاشا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أن يُسلم على قوم لا يسمعون ولا يعقلون .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب (القبور) : باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء ، ثم أسند إلى السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « ما من رجل يَزور قبر أخيه ، ويجلس عنده ؛ إلا استأنس ورد عليه حتى يقوم » .

ثم أسند إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : (إذا مَر الرجل بقبر أخيه يَعرفه ؛ فيسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، وإذا مَر بِقَبْرٍ لا يعرفه ؛ فسلم عليه رد عليه السلام) وَمِثل هذا لا يُدرك بالرأي .

ثم أورد آثاراً كثيرة عن السلف الصالح رضي الله عنهم أنهم كانوا يستحبون زيارة القبور يوم الجمعة ، أو ليلة الجمعة ، أو الليلة التي بعد يوم الجمعة ـ أي : ليلة السبت إلى طلوع الشمس ـ وكانوا يقولون : إن الأموات تَعرف زُوارهم في هذه الأوقات ، يكون فيها انكشاف عام للكل ، حتى مَنْ عليه حقوق لم يُؤدها ، أمّا في غير هذه الأيام فَيُكشف لمن كان غير محجوب بحقوقٍ عليه . والله تعالى أعلم .

ثانياً : جاء في (الصحيحين) إنَّ الميت يَسمع قرع نعال الذين شَيّعوا جنازته ، حينما ينصرفون عنه ، ويرجعون إلى بيوتهم .

ثالثاً: ثبت في (الصحيح) إنّ الميت يَستأنس بالمُشَيِّعِيْنَ لجنازته بعد دفنه، فقد روى مسلم في (صحيحه) في حديث طويل ، عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال ـ وهو في سياق الموت ـ : (إذا أنا مِتُّ فلا تصحبني نائحة ولا نار ، فإذا دفنتموني فسنوا[1] عليّ التراب سَناً ، ثم أقيموا حول قبري قَدر ما تُنحر جزور[2] ويقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجِعُ بِه رسل ربي) .

رابعاً : جرت عادة المرسَلين صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين ، جرت عاداتهم أنهم بعد أن ينصرهم الله ، وَيُهلك أعداءهم ، يَخرجون إلى مَهالك الأعداء ـ أي : مواضع هلاكهم ـ فينادونهم بما فيه تحسير وتأسيف ، وتوبيخ وتعنيف ، كما أخبرنا الله تعالى عن قوم سيدنا صالح : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ .

---

(١) أي : صبوا التراب .

(٢) أي : قدر نَحر جمل وتقسيم لحمه .

وأخبرنا الله تعالى عن قوم شعيب : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ .

وكذلك أيضاً فعل السيد الأعظم سيدنا محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلم مع قتلى المشركين يوم بدر ، كما في (الصحيحين) عن أبي طلحة رضي الله عنه ، أن نبي الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أمر يوم بَدْرٍ بأربعةٍ وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فَقُذِفُوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مَشى ، واتبعه أصحابه وقالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شَفَةِ الرَّكِيِّ ، فجعل يُناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : « يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً » ؟

فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ما تُكلم من أجساد لا أرواح لها ؟

فقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لِمَا أقول منهم » وفي رواية : « ولكن لا يجيبون» .

فإذا كان أعداء الله تعالى يَسمعون بعد موتهم ما يُقَال عندهم، فكيف بأحباب الله تعالى، وأوليائه، والمؤمنين به تعالى.

* * *

بحث التوسل والاستغاثة

المراد بالتوسل هنا أن يَتَّخِذَ العبد وسيلة ـ أي : واسطة ـ إلى الله تعالى في دعائه أو رجائه ، لِمَا ثبت لتلك الواسطة عند الله تعالى من الفضل ، أو الحق ، أو الجاه ، أو المنزلة ، وإجابة الدعاء ، وجميع ذلك جائز شرعاً ، لما دل عليه كتاب الله تعالى ، وسنة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ، وآثار الصحابة ، وإجماع الأمة .

أما أدلة الكتاب :

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

فقد أمر الله تعالى بترك المحرمات والمنهيات ، وابتغاء الوسيلة بالأعمال الصالحة الفاضلة ، المقربة إليه سبحانه .

وقد شرع التوسل بالأعمال الصالحة ، رجاء الثواب وإجابة الدعاء ، قال الله تعالى : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ فقد توسلوا إلى الله تعالى بإيمانهم أن يغفر الله تعالى لهم ، وهذا ظاهر لا يُختلف فيه ، ولكن مَن تأمل في الآية الكريمة يتبين له أن الآية عامة في وسائل الأعمال الصالحة ، والعمال الصالحين ـ أي : الأعمال الفاضلة ، والذوات الفاضلة ـ لأنه سبحانه أمر بالتقوى ، وابتغاء الوسيلة ، والتقوى عبارة عن : فعل المأمورات ، واجتناب المنهيات ، فإذا فَسَّرنا ابتغاء الوسيلة بالأعمال الصالحة ، صار الأمر فيه تكرار

وتأكيد ، ولكن إذا أُرِيْدَ بالوسيلة الذوات الفاضلة كان تأسيساً ، وهو مقدم على التأكيد .

وَقَد ذكر العلامة البغوي القول بالعموم في آية : ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ ونسب ذلك إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

وقد ورد إطلاق الوسيلة على الذوات الفاضلة ، ففي (فتح الباري) أن الزبير بن بكار رَوى بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : استسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرمادة[١] بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فذكر الحديث ، وفيه : فخطبَ الناسَ عمرُ رضي الله عنه فقال : (إن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان يرى للعباس رضي الله عنه ما يَرى الولد للوالد ، فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم في عمِّهِ العباس ، واتخذوه وسيلة إلى الله) .

وفيه : (فما رجعوا حتى سقاهم الله تعالى) .

وأخرجه البلاذري عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم عن أبيه .

فكان العباس رضي الله عنه وسيلتهم إلى الله تعالى ، حتى إنه صرح بذلك لَمَّا اسْتَقَىٰ لهم حيث قال : (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يُكشف إلا بتوبة ، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا إليك بالتوبة : فاسقنا الغيث) فأرخت السماء مثل الجبال ، حتى أخصَبت الأرض وعاش الناس[٢] .

---

(١) الرّمادة بفتح الراء ، سمي العام بها : لِمَا حصل من شدة الجَدْبِ ، فاغبرت الأرض من عدم المطر .

(٢) فتح الباري وعزاه إلى الزبير بن بكار بإسناده .

فقد صرح العباس رضي الله عنه أن الناسَ جعلوه وسيلتهم إلى الله تعالى .

وقال الإمام مالك رضي الله عنه لأبي جعفر : (وَلِمَ تصرف وجهك عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وهو وسيلتك ، ووسيلة أبيك آدم عليه السلام يوم القيامة) كما سيأتي ذلك محققاً بإسناده .

ومن الأدلة على مشروعية التوسل قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ فليتأمل العاقل سِرّ قوله تعالى : ﴿جَآءُوكَ﴾ وقوله : ﴿ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ يفهم من ذلك صريح مشروعية اتخاذه وسيلة إلى الله تعالى ، ولولا ذلك فما الفائدة في قوله : ﴿جَآءُوكَ﴾ وهذا عام في حياته الدنيوية وبعد وفاته صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، كما سيأتي ذلك بأدلته إن شاء الله تعالى .

وأما الأحاديث النبوية الدالة على مشروعية التوسل فهي كثيرة نذكر بعضاً منها :

الدليل الأول : روى الترمذي والنسائي والبيهقي ، وصححه الحاكم وقال : على شرطهما ، عن عُثمان بن حُنيف رضي الله عنه : أن رجلاً ضريراً جاء إلى النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ادع الله أن يَكشف عن بصري . وفي رواية : أن يعافيني .

فقال : « إنْ شِئْتَ دَعَوتُ ، وإن شِئْتَ صَبَرتَ فهو خير لك » .

قال : فادعه .

فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ، ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم إنِّي

أسألك ، وأتوجه إليك ، بنبيك محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضىٰ لي ، اللهم فشفعه فِيَّ » .

فتوضأ ثم صلّىٰ ركعتين . جاء في رواية البيهقي : (فقام وقد أبصر) .

فهذا الحديث يدل على مشروعية التوسل بذات النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فإن الضرير هو الذي دعىٰ وتوجه إلى الله تعالى برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وليس ذلكَ خاصاً بالضرير ، بل هو عام له ولغيره ، في حياته صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وبعد وفاته ، يدل على ذلك الزيادة التي رواها ابن خيثمة ، حيث قال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم للأعمى : « فإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك » وهي زيادة من ثقة مقبولة .

وأيضاً فإنّ راوي الحديث وهو عثمان بن حنيف رضي الله عنه حمله على العموم ، حيث عَلَّم رجلاً آخر كانت له حاجة ، فدعا بهذا الدعاء فَقُضِيَتْ حاجته ، وكان ذلك بَعد وفاة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، وَفَهْم الراوي حجة في المراد من الحديث .

وأيضاً فإن أئمة الحديث فهموا من هذا الحديث العموم ـ يعني : إن التوسل به صلّىٰ الله عليه وآله وسلم مشروع في حياته ، وبعد وفاته ، في سائر الحاجات ـ فقد ذكره الترمذي ، والحاكم ، والبيهقي في كتاب الدعوات ، لأنه مِن جملة الأدعية المشروعة ، وذكره النووي في باب أذكار صلاة الحاجة على أنه مِنْ جملة الأذكار التي يُدْعَىٰ بها عند الحاجة .

الدليل الثاني: روى البيهقي، والطبراني في (المعجم الكبير والصغير) عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه، أن رجلاً كان يَختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة ، فكان لا يلتفت إليه ، ولا ينظر إليه في حاجته ، فَشكىٰ ذلك لابن حنيف رضي الله عنه فقال : اِئت الميضأة ـ أي : محل الوضوء ـ فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيقضي لي حاجتي ـ وتذكر حاجتك ـ وَرُح حتى أروح معك ، فانطلق الرجل ، فصنع ما قال عثمان بن حنيف رضي الله عنه ، ثم أتى باب عثمان رضي الله عنه فجاءه البواب حتى أخذ بيده ، فأدخله على عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان أمير المؤمنين ، فأجلسه معه على الطنفسة وقال : حاجتك ؟ . فذكر حاجته فقضاها له ، ثم قال له : ما ذكرتُ حاجتك حتى كانت هذه الساعة ، وقال : ما كانت لك من حاجة فَأْتِنَا . ثم إنّ الرجل خَرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف رضي الله عنه ـ أي : الذي علمه دعاء الحاجة ـ فقال : جزاك الله خيراً ، ما كان ينظر في حاجتي ، ولا يلتفت إليّ حتى كلمته فِيَّ .

فقال عثمان بن حنيف رضي الله عنه : والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وأتاه ضرير ، فشكا ذهاب بصره . الحديث كما تقدم . وسنده لا بأس به ، كما ذكره البيهقي ، والطبراني ، والحافظ السبكي ، والقسطلاني ، وغيرهم .

الدليل الثالث من السنة على إثبات التوسل بالذات الفاضلة : توسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس عم النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ورضي الله عنه ، وأمْرُه الناسَ أنْ يَتَّخِذوا العباس وسيلةً إلى الله

تعالى في سُقياهم .

فقد روى البخاري وغيره ، عن أنس رضي الله عنه أَنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قَحطوا اسْتَسْقىٰ بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم إنا كنّا نَتَوَسَّل إليك بنبينا صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فتسقينا ، وإنا نَتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . قال : فيسقون .

فهذا صريح في التوسل بالذوات الفاضلة .

وقد يقول القائل : إنّ هذا توسل بدعاء العباس رضي الله عنه .

قلنا: لو كان المقصود الدعاء لدعاه عمر رضي الله عنه، ولكن المقصود الداعي ، وهو العباس رضي الله عنه باعتبار نسبته إلى النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وقرابته منه ، صرح بذلك عمر رضي الله عنه وعبر عن ذلك العباس رضي الله عنه .

فقد ورد أنَّ عمر خطب فقال : (إن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان يَرى للعباس ما يرى الولد للوالد ، فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم في عمه العباس ، واتخذوه وسيلة إلى الله) .

وفي ذلك يقول العباس رضي الله عنه : (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يُكشف إلا بتوبة ، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك) إلخ كما تقدم .

وهذا كما روى البيهقي في (الدلائل)[1] عن أنس رضي الله عنه قال : جاء رجل أعرابي إلى النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فقال :

---

(١) قال الحافظ ابن حجر : وإسناده وإن كان فيه ضعف لكنه يصلح للمتابعة .

يا رسول الله أتيناك وما لنا بعير يئط ، ولا صبي يغط . ثم أنشده شعراً يقول فيه :

وليـــس لنـــا إلّا إليـــك فـــرارُنـــا   وأين فِرار الخلق إلّا إلى الرسل

فقام صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يجر رداءه ، حتى صعد المنبر ، فرفع يديه إلى السماء فقال : « اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً ، مَرِيْعاً ، غدقاً ، طبقاً ، نافعاً غير ضار ، عاجلاً غير رائث ، تملأ به الضرع ، وتُنْبِتُ به الزرع ، وتُحيي به الأرض بعد موتها » .

قال أنس رضي الله عنه : فما رَدَّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يديه إلى نحره حتى التقت السماء بأبراقها ، ثم قال ﷺ: « لو كان أبو طالب حياً لَقَرَّت عيناه ، مَنْ يُنْشِدُنا قوله ؟ »

فقام علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأَبْيَضَ يُستسقىٰ الغمام بوجهه   ثِمَالُ اليتامى عصمة للأرامل

فقد أقر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قول أبي طالب : يُسْتَسْقَىٰ الغمام بوجهه ، وفي ذلك صريح التوسل بوجه النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

الدليل الرابعُ على جواز التوسل بالذوات الفاضلة :

توسل الصحابة رضي الله عنهم واستسقاؤهم ، وتبركاتهم ، وتمسحاتهم في سائر كرباتهم ومهماتهم بآثار النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، والتماسهم الخير والبركة في ذلك .

وهذا أمر ثابت في الأحاديث الصحيحة ، شائع بين الصحابة والتابعين .

جاء في (صحيح) مسلم عن عبد الله مولى أسماء رضي الله عنها في حديث طويل وفيه : فقالت أسماء رضي الله عنها : هذه جبة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فَأُخْرِجَت إليّ جبة طَيالِسَة كِسْرَوانية ، لها لبنةُ ديباجٍ ، وفَرجيها مَكْفُوفين بالديباج ، فقالت : هذه كانت عند السيدة عائشة رضي الله عنها حتى قُبِضَت ، فلما قُبضت قبضتها ، وكان النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يَلبسها ، فنحن نَغْسلها للمرضى يُستشفىٰ بها .

فهذا يدلك على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يستشفون بجبة رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، ومعنى ذلك : أنهم يطلبون الشفاء من الله تعالى ، متوسلين بفضل هذه الجبة الشريفة عند الله تعالى ، فإذا صح التوسل بجبته صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ؛ فكيف لا يصح التوسل بذاته صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ؟!! .

وفي (الصحيحين) من حديث صُلح الحديبية :

فقال : والله ما تنخم رسول الله نُخامة إلا وقعت في كفِّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضُوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده .

فكانت الصحابة يتبركون بنخامته صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وهو طلب البركة من الله تعالى بفضل هذه الآثار عند الله تعالى .

وفي (صحيح) البخاري عن ابن سيرين رضي الله عنه قال : قلت لِعَبِيْدَةَ : عندنا مِنْ شعر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أصبناه مِنْ قِبَلِ أنس رضي الله عنه .

فقال : لأن تكون عندي شَعْرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم لما حَلَق رأسه كان أبو طلحة أوّلَ مَنْ أخذ شعره صلّىٰ الله عليه وآله وسلم . رواه البخاري .

وفي صحيح مسلم ، عن أنس رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم والحلاق يحلقه ، وأطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل .

فكانوا يحتفظون بشعره صلّىٰ الله عليه وآله وسلم للتبرك ، والاستشفاء بها ، وهذا التوسل بعينه .

وقد جاء التصريح في الحديث الذي رواه البخاري عن ابن موهب قال : أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوجة النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم بقدح من ماء ، فيه شَعر مِنْ شعر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وكان إذا أصاب الإنسان عَيْنٌ أو شيء بعث إليها مَخْضَبه .

فكانوا يبعثون إلى السيدة أم سلمة رضي الله عنها بإناء فيه ماء ، فتخضخض الجُلْجُل الذي فيه مِن شعر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، يستشفون بذلك ـ أي : يطلبون الشفاء من الله تعالى ، بفضل هذا الأثر عند الله تعالى ـ وهذا هو عين التوسل بالذات .

وفي (الصحيحين) عن سهل بن سعد رضي الله عنه في البردة التي استوهبها من النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فلامه الصحابة على طلبها فقال : إنما سألته إياها لتكون كَفَني . وفي رواية فقال : رجوت بركتها حين لبسها النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، لَعَلي أُكَفَّنُ بها .

وفي (صحيح) مسلم ، عن أم سُليم رضي الله عنها أنها فَتحت عَتِيْدَتَها ـ أي : صندوقاً صغيراً ـ فجعلت تُنشف فيه عرق النبي صلّىٰ الله عليه وآله

وسلم ، فتعصره في قواريرها ، في إناء من زجاج .

فقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم لَمّا استيقظ من نومه : « ما تصنعين يا أم سليم » ؟ .

فقالت : يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا .

فقال : « أصبت » .

فقد أقر رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم التوسل بذوات آثاره الشريفة ، فكيف لا يجوز التوسل بذاته الشريفة صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

وفي البخاري عن أبي جُحيفة رضي الله عنه قال : (أتيت النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وهو في قبة حمراء من أَدَم، ورأيت بِلالاً أخذ وَضوء النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، والناس يبتدرون الوَضُوء ، فمن أصاب منه شيئاً تمسح به ، وَمَن لم يصب منه شيئاً أخذ من بَللِ يدِ صاحبه) يعني : للبركة والاستشفاء .

فكانوا يحرصون على آثاره صلّىٰ الله عليه وآله وسلم تبركاً واستشفاء واسترحاماً .

فكان أنس يحتفظ بنعل النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم عنده ، كما في (صحيح) البخاري عن ابن طَهْمان قال : أخرج إلينا أنس بن مالك رضي الله عنه نعلين لهما قِبَالان ، فقال ثابت البناني : هذه نعل النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

وقد ثبت أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كانَ يضع في قَلَنْسوته من شعرات النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فسقطت قلنسوته في بعض حروبه ، فشد عليها يبحث عنها ، حتى أنكر عليه بعض الصحابة مِنْ كثرة

مَنْ قتل بسببها من الأعداء ، فقال خالد : لم أفعل ذلك بسبب القلنسوة ، بل لما تضمنته من شعره صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، لئلا أسلب بركتها ، وتقع في أيدي المشركين .

فهذا خالد رضي الله عنه يستنصر على الأعداء بفضل شعر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

وأوصىٰ سيدنا معاوية رضي الله عنه أن يُجْعَل مِنْ شعر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم تحت لسانه حين يموت .

وجاء في (صِفَة الصفوة) : أن ولداً للفضل بن الربيع أعطىٰ للإمام أحمد ـ وهو في الحبس ـ ثلاث شعرات ، فقال : هذا من شعر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فأوصى الإمام أحمد عند موته أن يُجعل على كل عين شعرة ، وشعرة على لسانه . فَفُعِل ذلك به عند موته .

فهذا أحمد بن حنبل إمام أهل السنة يتوسل إلى الله تعالى ، أن يغفر له ويرحمه ، بفضل شعر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

وجاء في فضائل الإمام البخاري أنه كان معه شيء من شعر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فجعله في ملبوسه . ذكر ذلك في (مقدمة فتح الباري) وهذا توسل من الإمام البخاري بشعر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، ابتغاء الخير والبركة .

وفي (صحيح) مسلم ، عن أنس رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إذا صلّىٰ الغداة ـ صلاة الفجر ـ جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فلا يأتونه بإناء إلا غمس رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فيه يده ، وربما جاءه في الغداة الباردة فيغمس يده فيه) فكانوا يتبركون بآثار الماء الذي لاقىٰ يد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ،

ويستشفون بذلك ، وَيُقِرُّهم رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

وفي (الصحيحين) عن أنس رضي الله عنه قال : كانت أم سُليم رضي الله عنها تبسط لرسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم نِطعاً فَيقيل عندها ـ ينام ضحوة عندها ـ فإذا قام أخذت من عَرَقِهِ وَشعره فَجَعَلَتْهُ في قارورة ـ زجاجة ـ ثم جمعته في سُكٍّ ، فلما حُضِرَ أنس أوصىٰ أن يُجْعَلَ في حنوطه من ذلك السُّكِّ .

فهذا أنس رضي الله عنه يوصي أن يُجعل في حَنوطه بعد موته مِن شعر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وعرقه الشريف ، متوسلاً بذلك إلى الله تعالى أن يغفر له ويرحمه .

فإنْ قال القائل إنَّ هذه الأحاديث لا تدل على التوسل بالذوات ، إنما هي من باب التبرك فقط .

قلنا في الجواب : إنَّ هذا التمسح من الصحابة ، وهذا الحرص منهم على آثار رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وهذا الإيصاء منهم بجعل ذلك في حنوطهم وأكفانهم ؛ هذا كله إمَّا أن يكون عَمَلاً أجْوف لا معنىٰ له ، ولا بغية لهم فيه ، فيكون عملاً عَبَثاً لَعِباً ، وحاشا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنْ يُقر أصحابه على عَبث أو لعب ليس فيه غرض صحيح ، فإذاً لا بد وأنَّ لهم غرضاً وغاية يطلبونها بذلك التمسح بالآثار ، وهذا هو التبرك ، أو الاستشفاء ، أو الاسترحام ، أو الاستنصار أو نحو ذلك مما جاء مصرحاً به ، ولا شك أنَّ معنىٰ التبرك بالأثر والاستشفاء به ، أو الاسترحام به ؛ معنى ذلك هو طلب البركة من الله تعالى ، وطلب الشفاعة من الله تعالى ، وطلب الرحمة من الله تعالى بسبب فضل هذه الآثار الشريفة المحمدية عند الله تعالى . وهذا هو حقيقة

التوسل بالذات .

هذا وقد ثبت أن ابن عمر رضي الله عنهما من الصحابة ، وسعيد بن المسيب من أَجَلِّ التابعين ، ويحيى بن سعيد شيخ الإمام مالك ، وكذلك ثبت عن الإمام أحمد ، كل هؤلاء ثبت عنهم أنهم تَمَسَّحوا بمنبر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم تبركاً به ، لكونه محل جلوس المصطفى صلّىٰ الله عليه وآله وسلم . كما ثبت عن الإمام أحمد أنَّه سُئِل عن تقبيل قبر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم وتقبيل منبره فقال : لا بأس بذلك .

وفي (مسند) الإمام أحمد ، عن جعفر بن محمد قال : كان الماء يَستنقع في جفون النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم حين غسلوه بعد موته ، فكان علي رضي الله عنه يحسوه ـ أي : يحسو ذلك الماء من بركاته صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ـ .

وأما الدليل على جواز التوسل بحقه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم :

فقد ورد في الحديث ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَنْ خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشاي هذا ، فإني لم أخرج أشَرَاً ، ولا بطراً ، ولا رياء ، ولا سُمعة ، خَرَجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك ، فَأسألك أنْ تُعيذني من النار ، وأن تغفر لي ذنوبي ؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . أقبل الله عليه بوجهه ، واستغفر له سبعون ألف ملك » رواه ابن ماجه وهذا لفظه ، ورواه الطبراني والإمام أحمد . وبهذه المتابعات يزول ما في بعض رواته من ضَعف ، ولذلك حَسّنه جماعة من أئمة الحفاظ .

وروى الطبراني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما ماتت

فاطمة بنت أسد رضي الله عنها أم علي رضي الله عنه ، دخل عليها رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فجلس عند رأسها فقال : « رحمك الله يا أمي ، كنت أمي بعد أمي ، تجوعين وتُشبِعيني ، وتعرين وتكسيني ، وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني ، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة » ثم أمر أن تُغسَل ثلاثاً ثلاثاً ، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور ، وضعه رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم بيده ، ثم خلع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قميصه فألبسها إياه ، وكفنها ببرد فوقه ، ثم دعا أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود رضي الله عنهم يحفرون، فحفروا قَبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم بيده ، وأخرج ترابه ، فلما فَرغ دخل فيه رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فاضطجع فيه ، وقال : « الله الذي يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، وَلَقِّنْهَا حُجَّتها ، وَوَسِّع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين » وكبر عليها أربعاً ، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهم .

قال الحافظ الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، غير روح بن صلاح ، وقد وثقه ابن حبان والحاكم ، وفيه ضعف . أي : فيه ضعف محتمل ليس بالشديد .

وقول الحنفية رضي الله عنهم : وكُرِهَ بحق رسلك وأنبيائك وأوليائك ، أو بحق البيت ، لأنه لا حق للخلق على الخالق ، فينبغي حمل الكراهة على مَنْ كان يتوهم أنَّ للعبد حقاً واجباً على الله تعالى ، كما هو بدعة المعتزلة . وأما إذا أريد بالحقّ الحقِّ الذي حَقَّه الله تعالى على

نفسه تَفَضُّلاً ، كما قال الله تعالى : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وأمثال ذلك ، وهذا هو الذي دَلَّت عليه الأحاديث السابقة ، فإنه لا مانع منه ، لأنه تَوسل إلى الله تعالى بِحَقٍّ أوجبه الله تعالى على نفسه .

وأما دليل التوسل بجاهه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : فقد أخبر الله تعالى عن وَجاهة سيدنا موسى وعيسى فقال في موسى : ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ ، وقال في عيسى : ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ولا شك أنَّ جاه الرسول صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أعظم ، فإنه وَجْهُ جميع الأنبياء وإمامهم صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين .

التوسل بالنبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كما هو ثابت في حياته الدنيوية، كذلك ثابت بعد انتقاله إلى الحياة البرزخية :

فإن قال قائل : سَلَّمْنا أنَّ التوسل به صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ثابت ، ولكنه خاص في حال الحياة الدنيوية ، وأما بعد ذلك فلا يصح التوسل به .

قلنا في الجواب : إنّ تخصيص ذلك في حال حياته الدنيوية لا دليل عليه ، وإنما تُثْبِتُ الأدلة جواز التوسل به صلّىٰ الله عليه وآله وسلم في جميع أحواله ، في حياته الدنيوية ؛ وبعد وفاته صلّىٰ الله عليه وآله وسلم . ودليل ذلك :

أولًا ـ حديث عثمان بن حُنَيْف رضي الله عنه المتقدم، فإنه عَلّم الرجل الذي كانت له حاجة عند عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فإنه علّمه أَنْ يدعو فيقول : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، نَبيّ الرحمة » إلى تمام الحديث ، وذهب الرجل ودعا

به ، فقضيت حاجته ، وكان ذلك بعد وفاة الرسول صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

ثانياً ـ إِنَّ تبرك الصحابة والتابعين ، واستشفاءهم بآثار النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم منها ما كان في حياته الدنيوية ، وكثير منها كان بعد وفاة النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، كما تقدم في الأحاديث ، فإِنَّ المانع يَزْعم أنَّ الميت لا يُتوسل به ، لأنه لا روح له . **قلنا له** : قد توسل الصحابة بآثاره صلّىٰ الله عليه وآله وسلم مع أنها لا روح لها ، بل هو حي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم في قبره كما يأتي .

ثالثاً ـ تَقَدَّمَ في حديث فاطمة بنت أسد رضي الله عنها كيف توسل النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم بحق الأنبياء قبله ، وذلك صريح في التوسل بعد الوفاة .

رابعاً ـ إنَّ التوسل به صلّىٰ الله عليه وآله وسلم في سائر أحواله وأكوانه ، هو الأمر الذي فهمه الإمام مالك ، وفهمه أهل الصفاء والنقاء من العلماء والأتقياء . فقد قال القاضي عياض : واعلم أنّ حرمة النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم بعد موته ؛ وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته ، وذلك عند ذكره صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وذكر حديثه وسنته ، وسماع اسمه وسيرته ، ومعاملة آله ، وتعظيم أهل بيته وأصحابه ، ثم روى بإسناده إلى ابن حُميد قال : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإنَّ الله تعالى أَدَّبَ قوماً فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ الآية ، ومدح قوماً فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾

الآية ، وَذَمَّ قوماً فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ الآية . وإنّ حُرمته مَيتاً كحرمته حياً . فاستكان لها أبو جعفر ، وقال : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو ، أم أستقبل رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ؟

فقال الإمام مالك : ولِمَ تَصْرِف وجهك عنه ، وهو وَسِيلَتُكَ وَوَسِيْلَةُ أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله تعالى، قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ .

وهذه المناظرة بين الإمام مالك وأبي جعفر ذكرها التقي السبكي ، والقسطلاني ، والسمهودي ، وابن حجر في الجوهر المنظم ، وغيرهم ، وسندها حسن .

وروى ابن عساكر في (تاريخه) ، وابن الجوزي في (مثير الغرام) عن العتبي ، أن أعرابياً جاء إلى قبر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ وقرأ الآية ، وقال : وقد جئتك مُستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ، ثم أنشأ يقول :

يا خير مَنْ دُفنت في الترب أعظمُهُ ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال العتبي : فغلبتني عيناي ، فرأيت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم في النوم ، فقال : يا عتبي اِلحق الأعرابي وَبَشِّرْهُ بأن الله تعالى غفر له .

وهذه القصة ذكرها ابن كثير في (تفسيره) بإقرارها ، وذكرها كثير من المؤرخين : كابن خلكان وغيره ، وتلقاها العلماء بالقبول ، وذكرها أئمة المذاهب في المناسك مستحسنين لها ، ففيها نداء النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وطلب الشفاعة منه وهو في قبره الشريف ، فلو كان نداؤه والتوسل به بعد الوفاة محذوراً لأنكروها ، وما قرروها في كتبهم .

وقال القسطلاني والسمهودي : رَوى أبو سعيد السمعاني ، عن علي رضي الله عنه ، أَنَّ أعرابياً قَدِم علينا بعدما دُفِنَ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبره ، وحثى من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله قلت فَسَمِعْنا قولك ، وَوَعيت عن الله فوعينا عنك ، وكان فيما أُنزل إليك : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ وقرأ الآية ، وقال : قد ظلمت نفسي ، وجئتك تستغفر لي . فنودي من القبر : قد غُفِرَ لك .

وهذه القصة ذكرها القرطبي في تفسيره عند الآية .

وحكاية العلماء والمحدثين لهذه الأخبار تَثْبيت لصحتها ، وتثبيت لعقيدتها ، إذ لو كان شركاً لأنكروه وما أقروه ، فإقرار ابن كثير والقرطبي وغيرهما لهذه الأخبار هو إقرار بصحة اعتقادها . إذ لو كان مُنكراً لأنكروه .

خامساً ـ قال الإمام الدارمي في (سننه) باب ما أكرم الله تعالى نبيه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم بعد موته . ثم أسند إلى أبي الجوزاء قال : قُحِطَ أهل المدينة قَحْطاً شديداً ، فشكوا إلى السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت : انظروا قبر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فاجعلوا منه كوى ـ أي : نوافذ ـ إلى السماء ، حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف .

قال : ففعلوا ، فَمُطِرْنا مطراً ، حتى نبت الغشب ، وسمنت الإبل ، حتى تفتقت من الشحم ؛ فَسُمِّيَ عام الفتق .

فقد أمرت السيدة الصديقة رضي الله عنها بفتح الكوى إلى السماء استمطاراً ، ولم يُنكر عليها أحد من الصحابة والتابعين مع كثرتهم ، فلو كان أمراً فيه شرك أو نحوه لما أمرت به الصديقة ، بل لو كان شِركاً لما رواه الدارمي بإقرار ، بل هذا الصنيع من الصديقة لا يُدْرَك بالرأي والاجتهاد ، فلا بد وأنها مُستندة إلى دليل ثابت عنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

وروى الحاكم في (المستدرك) أنَّ أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه غزا قسطنطينية في خلافة معاوية رضي الله عنه، فقتل هناك ، ودفنه المسلمون في أصل سُور البلد .

قال الراوي : فالروم يزورون قبره ، ويستقون به إذا قُحِطُوا .

وجاء في (صفة الصفوة) أن أحمد بن الفتح ، رأى بشر بن الحارث الحافي في المنام ، فسأله عن معروف الكرخي رضي الله عنه فقال : هيهات ، حالت بيننا وبينه الحجب ، إنَّ معروفاً لم يَعْبد الله شوقاً إلى جنته ، ولا خوفاً من ناره ، وإنما عبده شوقاً إليه ، فرفعه الله تعالى إلى الرفيق الأعلى ، فَمَنْ كانت له إلى الله حاجة فليأت قبره ، وليدع ، فإنه يُستجاب له إن شاء الله تعالى .

قال ابن الجوزي : وقبر معروف ظاهر يُتبَرَّك به في بغداد ، وكان إبراهيم الحربي صاحب الإمام أحمد يقول : قبر معْروف الترياق المجرب .

وجاء عن عز الدين بن جماعة في كتاب (أنس المحاضرة) عن

علي بن ميمون قال : سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : إني لأتبرك بأبي حنيفة ، وأجيء إلى قبره في كل يوم ـ أي : زائراً ـ فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين ، وجئت وسألت الله تعالى الحاجة عنده ، فما تَبْعُدُ عني حتى تَنْقَضِيَ .

فهذا يدلنا على صحة التوسل بالصالحين في الحياة وبعد الممات .

وقد يقول القائل : لو كان التوسل بالرسول صلّىٰ الله عليه وآله وسلم بعد الوفاة جائزاً ، لتوسل به عمر رضي الله عنه ولم يتوسل بالعباس رضي الله عنه .

قلنا في الجواب :

أولًا ـ تَرك فعل الشيء ، بلا نهي عن ذلك الشيء ، لا يدل على عدم جواز الفعل ، فكم من أمور لَم يفعلها بعض الصحابة مع أنهم صرحوا بجوازها ، وأقروها إذا فُعلت ، ومن ذلك قضية التوسل بالنبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم بعد الوفاة ، فإن عمر رضي الله عنه نفسه أقره ولم يُنكره ، فقد روى البيهقي ، وابن أبي شيبة ، عن مالك الدار رضي الله عنه ، وكان خازن عمر رضي الله عنه قال : أصاب الناس قَحط في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فجاء رجل إلى قبر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم فشكى له فقال : يا رسول الله استسق لأمتك ، فإنهم قد هلكوا . فأتاه رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم في المنام فقال : ائت عمر ، وأقرئه السلام ، وأخبره أنهم مُسقون ، وقل له : عليك الكيس الكيس .

فأتىٰ الرجل عمر رضي الله عنه فأخبره ، فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال : يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه .

وقد صحح الحافظ في الفتح إسناده وقال : وقد روى سيف في

الفتوح أن الذي رأى في المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة رضي الله عنهم .

ثانياً ـ إن توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما ليس هو عدولاً عن التوسل برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، بل هو متضمن للتوسل برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، لأنه إنما توسل بالعباس لأنه عم النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فهو يتوسل بهذه القرابة كما صرح بقوله : (وإنَّا نتوسل إليك بعم نبيك) ولما كان موقف الاستسقاء يتطلب الدعاء من الإمام حتى يسمعه الناس ، ويحصل لهم خشعة وانكسار ، وذل وافتقار إلى الله تعالى ، فلذلك أناب العباس في الدعَاء بدلاً عنه ، فهذا العمل دليل على حقيقة التوسل بالنبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، حيث قال : (وإنا نتوسل إليك بعم نبيك) أي : فأجب دعاءه لفضل نبيك صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وأيضاً فيه إقامة شعيرة الاستسقاء ، والتضرع والدعاء ، والضجيج والرجاء ، وذلك بقيام العباس داعياً بدلاً من عمر رضي الله عنهما .

ثالثاً ـ إن الصحابة بإجماع منهم ، قد توسلوا بآثار النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم المنفصلة عنه من : شعره ، وأظافره ، ونخامته ، وهي ليس لها روح ، فكيف يقال : إنَّ عمر لا يجيز التوسل به صلّىٰ الله عليه وآله وسلم بعد وفاته ، مع أنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم حَيٌّ في قبره ـ كما سيأتي ـ كلا وحاشا عمر رضي الله عنه من ذلك ، وإنما هو افتراء على عمر رضي الله عنه .

أبحاث الاستغاثة

الاستغاثة هي : طلب العبد الإغاثة لِشِدَّةٍ وقع فيها ، أو ضائقة أَلَمَّتْ

به ، أو كُربة اعترته ، أو نحو ذلك ، فهو يطلب مَنْ يُسعفه وَيدفع عنه ما حَلَّ به .

ومن المقرر أن الإغاثة والعون والإمداد ، كل ذلك هو من الله تعالى على الحقيقة والاستقلال ، ولكن هذا لا يُنافي أن الله تعالى جعل لذلك أسباباً ؛ ووسائط أعدها لذلك ، وإنكار الأسباب التي نصبها الله تعالى فيه تعطيل الحكمة ، بل فيه تحديدُ القدرة . تعالىٰ الله عن ذلك عُلُواً كبيراً .

ولذلك فإنّ القرآن الكريم أضاف كثيراً من الأفعال إلى الله تعالى وحده ، ومع ذلك نَسَبها في آيات أخرى إلى الأسباب والوسائط .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ فنسب الإحياء إليه ، ومع ذلك قال : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ ﴾ فنسب الإحياء إلى السبب ، وهو العبد المخلوق .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ وقال تعالى : ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ فنسب النصر إليه على الحقيقة ، ونسبه للمخلوق على السببية ، فأيّ مانع إذا قلت : يا فلان أنصرني ، وفي الحديث : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » الحديث .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ فنسب الرزق إلى المخلوق لأنه سبب في ذلك .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۚ ﴾ ،

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ .

وقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : «إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » فَبَيَّن أنّ قضاء الحاجات ، وأن الإعانة كل ذلك من الله تعالى على الحقيقة ، ومع ذلك أضافها الله تعالى إلى السبب فقال : ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ فَبين أنه يجوز للعبد أن يسأل العبد ، وأن المسؤول ينبغي أن لا يَنهر .

وقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » فندب العباد أن يُعِيْنَ بعضهم بعضاً ، فيجوز للعبد أن يستعين بأخيه .

وهكذا الإغاثة هي من الله على الحقيقة ، فهو سبحانه المغيث ، ومع ذلك نسب الإغاثة إلى العبد ، كما ورد في حقوق الطريق : « وأن تُغِيْثُوا الملهوف ، وتهدوا الضال » رواه أبو داود ، وهذا يجري في كثير من الأفعال . وفيما ذكرنا كفاية .

فإن قال قائل : سَلّمْنا الإغاثة والنصر وغير ذلك ، سلمنا أنها تُضاف إلى السبب ، ولكن هل يَجوز طَلب الإغاثة والإعانة والنصر ونحوها من السبب ، باعتبار أنه سبب وواسطة في ذلك .

فالجواب : إن ذلك جائز بأدلة ثابتة :

أولًا ـ أجمع أهل الموقف كلهم على جواز ذلك ، كما ورد في (صحيح) البخاري ، في كتاب الزكاة ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « الشمس تدنو يوم القيامة ، حتى يَبلغ العرق نصف الأذن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد صلّىٰ الله عليه

وآله وسلم » الحديث .

ثانياً ـ جاء في (الصحيح) في قصة هاجر أم إسماعيل، لما أدركه العطش، فَجَعَلَتْ تسعىٰ في طلب الماء، فسمعت صوتاً ولا ترى شخصاً فقالت: (أَغِثْ إن كان عندك غَوثٌ). فلو كان طلب الغوث شِركاً لما أقره رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم، ولما نقله الصحابة والمحدثون.

ثالثاً ـ ورد في الحديث، عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال: « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة، فليناد: يا عباد الله احبسوا، فإنّ لله عز وجل في الأرض حاصِراً سيحبسه » رواه ابن السني، والحاكم، وأبو عوانة والبزار بسند صحيح .

قال الإمام النووي: حَكىٰ لي بعض شيوخنا الكبار بالعلم: أنه انفلتت له دابة ـ أظنها بغلة ـ وكان يَعرف هذا الحديث ، فقاله فحبسها الله عليهم في الحال ، وكنت أنا مَرة مع جماعة ، فانفلتت مِنا بهيمة ، وعجزوا عنها ، فقلته فوقفت في الحال بغير سبب ؛ سوى هذا الكلام .

وروى الطبراني ، عن عتبة بن غزوان ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إذا ضلّ أحدكم ـ أي : عن الطريق ـ أو أراد عوناً ، وهو بأرض ليس بها إنس فليقل : يا عباد الله أعينوني . ثلاثاً ، فإن لله عباداً لا يراهم » .

ونقل في (شرح الأذكار) عن بعض العلماء الثقات أنه قال في هذا الحديث : حديث حسن، يحتاج إليه المسافر.

ونقل ابن مُفلح الحنبلي في كتاب (الآداب الشرعية) عن عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل قال : سمعت أبي ـ أحمد بن حنبل ـ يقول : حججت خمس حِجج ، فضللت عن الطريق ، وكنت ماشياً ، فجعلت

أقول : يا عباد الله دُلُّونا على الطريق ، فلم أزل أقول ذلك ، حتى وقفت على الطريق . أي : حتى ٱهتدىٰ إلى الطريق . فدل هذا على جواز الاستغاثة والاستعانة بالمخلوق ؛ على اعتبار أنه سبب .

رابعاً ـ جاء في (الصحيحين) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : (خرجنا مع النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم إلى خيبر فسرنا ليلاً ، فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ألا تُسمعنا مِنْ هُنيهاتك ـ وكان عامر رجلاً شاعراً ـ فنزل يحدو بالقوم يقول :

اللهـم لـولا أنـت مـا اهتـدينـا ولا تَصـدقنـا ولا صلينـا
فـاغفـر فـداء لـك مـا أبقينـا وثبّـتِ الأقـدام إن لاقينـا
وألقيـن سكينـة علينـا إنـا إذا صيـح بنـا أبينـا
وبـالصيـاح عَـولـوا علينـا

فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مَنْ هذا السائق » ؟ .

قالوا : عامر بن الأكوع .

قال : « يرحمه الله » .

فقال رجل من القوم ـ أي : عمر رضي الله عنه ـ وجبت يا نبي الله ، لولا أمتعتنا به) الحديث .

فانظر يا هذا ، لقد طلب عمر من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أن يمتعهم بعامر ـ يعني : أن يُطيل عمره فيبقى حياً بينهم ، يتمتعون به ـ ولم يقل رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : لا تقل هذا يا عمر ، أو لا تشرك يا عمر ، بل أقره رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، مع أن الذي يُطيل العمر على الحقيقة ، وَيُمتع بالآجال هو الله تعالى ، قال

تعالى : ﴿ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَـٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ نعم . ولكن الله تعالى نَصَب أسباباً لا تنكر ، فهو صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أعظم الأسباب ، وأقوى الوسائط في جميع الخيرات والمبرات ، من الإغاثة والإعانة والنصر ، والإمداد والسعادة، وما هنالك أعظم واسطة في ذلك؛ بل في خير الدنيا والآخرة منه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ وأنت تعلم أنّ الرحمة شاملة لجميع الخيرات والسعادات ، الظاهرة والباطنة ، في الدنيا والآخرة .

اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بوجه نبيك سيدنا محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، أن تجعلني مِنْ خاصة خاصة أتباعه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ؛ ظاهراً وباطناً . والحمد لله رب العالمين .

ولقد كان والدي الكريم قَدّس الله روحه ، وَنَوّر ضريحه ، يعتبر أصرح دليل على صحة الاستغاثة برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم هذا الحديث ، وهو قول عمر رضي الله عنه : (هلا أمتعتنا به يا رسول الله) فإن في ذلك معنى السؤال والطلب ـ أي : كأنه يقول : أمتعنا به يا رسول الله ، أي : أطل لنا عمره ، حتى نتمتع به . سِيَّما والقائل ذلك عمر رضي الله عنه . سِيَّما ورسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم لم ينكر عليه شيئاً ـ فهي كلمة تُعبر عما هنالك مِن معانيها ، كما كان رحمه الله تعالى يحتج على المخالفين في جواز التوسل ، يحتج عليهم بإجماع الصحابة على التبرك والاستشفاء ، والاسترحام والاستنصار بآثار النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

فإن قال القائل : إنّ الاستغاثة إنما تكون من الأحياء لشعورهم بالاستغاثة ، ولتمكنهم من الإغاثة ، وأما الأموات فهل هم يُحِسُّون ويشعرون ؟ فكيف تصح منهم الإغاثة ؟ .

فالجواب :

أولاً ـ لقد ثبت أن الأنبياء أحياء صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم ، فقد ورد في (صحيح) مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الإسراء ، قال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يُصلي ، فإذا برجل ضَرْبٌ ، جَعد ، كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يُصلي ، أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي ، أشبه الناس به صاحبكم ـ يعني : نفسه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ـ فحانت الصلاة ، فَأَمَمْتُهم ـ أي : صار فيهم إماماً ـ فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد هذا مَالك صاحب النار فَسَلّم عليه ، فَالتَفَتَ إليَّ فبدأني بالسلام » .

فهذا الحديث صريح في حياة الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم ، حياة أقوى من الحياة الدنيوية ، فرآهم رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم يُصلون ، ثم صلّىٰ بهم إماماً ، صلاة حقيقية ، بدليل أنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كان وقتئذٍ في حياته الدنيوية ، فصلّىٰ بهم حقيقة ، واقتدوا به على الحقيقة .

ثانياً ـ ثبت أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون ، فورد في (صحيح) مسلم ، والنسائي ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « أتيت ليلة أُسْرِيَ بي على موسى قائماً يُصلي في قبره ؛ عند الكثيب الأحمر » .

وروى البيهقي ، وأبو يعلىٰ ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال

رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » قال العلامة المناوي : وهو حديث صحيح .

وروى الدارمي بإسناده ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : لما كان أيام الحرة ، لم يُؤذن في مسجد النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ثلاثاً ، ولم يُقَمْ ـ أي : تُرِك الأذان والإقامة ثلاثة أيام ـ ولم يَبرح سعيد بن المسيب من المسجد ، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يَسمعها من قبر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

وللإمام الحافظ البيهقي رسالة خاصةٌ في حياة الأنبياء صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم أجمعين .

ثالثاً ـ أخبر الله تعالى عن حياة الشهداء فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ الآيات . ومن المعلوم أن مقام الشهادة مُنتظم في سلك مقام النبوة ، سيما على قول حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بأنه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم نال الشهادة الظاهرة والباطنة .

رابعاً ـ ثبت أن الصلاة عليه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم تُعْرَضُ عليه ، وهذا دليل حياته صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وإلا فكيف تعرض على من لا يعي ولا يسمع . فقد روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، وابن حبان في (صحيحه) ، والحاكم وصححه ، عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « مِنْ أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عَلَيَّ مِنَ الصلاة فيه ، فإنَّ صلاتكم معروضة عَلَيَّ » .

قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرَمْتَ ـ يعني : بليت ـ .

فقال : « إن الله عز وجل حَرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

وروى ابن ماجه بسند جيد ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « أكثروا عَلَيَّ مِن الصلاة يوم الجمعة ، فإنّه مشهود ، تشهده الملائكة ، وإنَّ أحداً لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إلَّا عرضت عليَّ صلاته حتى يفرغ منها » .

قال : قلت : وبعد الموت ؟

فقال : « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » عليهم الصلاة والسلام .

وروى البيهقي، والأصبهاني، عن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال : « إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم عَلَيّ صلاة في الدنيا ، مَنْ صلّىٰ عليّ يوم الجمعة قضى الله له مائة حاجة ، سبعين من حوائج الآخرة ، وثلاثين من حوائج الدنيا ، يُوكل الله بذلك ملكاً يُدخلها في قبري ، كما يُدخل عليكم الهدايا ، يخبرني مَنْ صَلّى عَلَيّ باسمه ونسبه إلى عشيرته ، فأثبته عندي في صحيفة بيضاء » .

هذا وقد ثبت في حديث التشهد أن يقول المصلي : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » .

أفتقول إنَّ هذا سلام على من ليس به حياة ولا إدراك . كلا بل هو صلّىٰ الله عليه وآله وسلم حَيٌّ حَيٌّ .

وقد ثبت في الشرع زيارة الأموات والتسليم عليهم عامة ، وما ذلك إلا لأنهم يسمعون ، وَيُحِسُّون ويشعرون بزيارة الزائر ، بل قال صلّىٰ الله عليه وآله وسلم في قتلى المشركين يوم بدر : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » الحديث وقد تقدم . فما بالك بالمؤمنين فإنهم يسمعون وَيعُون

ويشعرون .

فإن قال قائل : سَلَّمْنا أنهم أحياء ، فهل تأتي منهم منفعة لأهل الدنيا ؟ .

قلنا في الجواب :

أولًا ـ تَقدم في الحديث الذي رواه البيهقي وابن أبي شيبة بسند صحيح ، عَن مالك الدار ـ وكان خازن عمر رضي الله عنه ـ ، قال : أصاب الناس قحط زمان عمر رضي الله عنه ، فجاء رجلٌ إلى قبر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فشكى له وقال : (يا رسول الله استسق لأمتك ، فإنهم قَد هلكوا) فأتاه رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم في المنام فقال : « ائت عمر ، وأقرئه السلام ، وأخبره أنهم مُسقون » الحديث . فهذه منفعة ظاهرة ، وإجابة كريمة منه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

وتقدم أمر السيدة عائشة رضي الله عنها بفتح النوافذ فوق قبر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، لما شكى الناس إليها القحط ، ففعلوا ذلك فمطروا مطراً شديداً ، وما وصل ذلك الخير إليهم إلا من سيادته صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

ثانياً ـ جاء في الحديث الذي رواه البزار بالسند الجيد ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال : « حياتي خير لكم تُحدِثون وَيُحدَث لكم ، ووفاتي خير لكم ، تُعرض عَليّ أعمالكم ، فما رأيت مِن خير حمدت الله ، وما رأيت من شر استغفرت لكم » قال الحافظ : إسناده صحيح ، وقال الحافظ الهيثمي : رجال إسناده رجال الصحيح .

فأيُّ منفعة وأيّ خير أعظم من هذه المنفعة ، والخير الواصل منه إلى

أمته ، وهو استغفاره صلّىٰ الله عليه وآله وسلم حين يُعرض عليه عمل المسيء ، فيستغفر له صلّىٰ الله عليه وآله وسلم على حسب حال ومقام ذلك العامل .

وقد تَقدمت قصة الأعرابي عن العلامة العتبي لَمَّا جاء إلى قبر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

ثالثاً ـ روى الإمام أحمد ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إن أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم ، فإنْ كان خيراً استبشروا ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تُمِتْهُمْ حتى تهديهم كما هديتنا » .

وروى أبو داود الطيالسي ، عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم : « إنَّ أعمالكم تُعرض على أقاربكم في قبورهم ، فإنْ كان خيراً استبشروا ، وإنْ كان غير ذلك قالوا : اللهم أَلْهِمْهُمْ أن يعملوا بطاعتك » .

وروى ابن أبي الدنيا ، عن بلال ابن أبي الدرداء قال : كنت أسمع أبا الدرداء وهو ساجد يقول : (اللهم إني أعوذ بك أن يَمْقُتَني خالي ابن رواحة إذا لقيته) .

أي : جَنِّبْنِيْ العمل السَّيئَ حتى لا يُعرض عليه فَيمقتني حين ألقاه .

فدلت هذه الأحاديث على أن الأحياء ينتفعون بدعاء الأموات ، وتوجهاتهم إلى ربهم تعالى .

رابعاً ـ أنزل الله تعالى آيات كريمة ، تبين فضل الشهداء ، وما أعد الله لهم من الأجر والكرامة ، وما أعطاهم من الرتبة والمكانة ، وما أعطاهم الله من الحياة الكاملة ، أنزل تلك الآيات تنشيطاً لهمة المجاهدين ؛ حتى

لا يَجْبُنُوا عن القتل في سبيل الله تعالى ، ولا يزهدوا في الجنة ، ولا ينكلوا عند الحرب . كل ذلك كان بسبب أن شُهداء أحد لما أعطاهم الله تعالى من الكرامة ما أعطاهم ، واجتمعوا يتحدثون بذلك ، فذكروا إخوانهم في الدنيا ، وأحبوا أن يوصلوا إليهم خيراً يَسرهم ، وينهض بهمتهم ، ويقوي دواعي عزيمتهم إلى الجهاد في سبيل الله تعالى ، والقتل في ذلك ، حتى رأوا أنْ يبعثوا واحداً منهم بهذه البشائر ، فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم فأنزل : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ الآيات فهي نازلة إلى هذه الأمة بسبب أولئك الشهداء .

فقد روى أبو داود ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه : « إنه لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله تعالى أرواحهم في جوف طير خضر ، تَرد أنهار الجنة ، تأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديلَ من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وَمَقِيْلهم ، قالوا : مَنْ يُبَلِّغ إخواننا أنَّا أحياء في الجنة نرزق ؛ لئلا يزهدوا في الجنة ، ولا ينكلوا عند الحرب .

فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ » الآيات .

وقد تناولت أطرافاً من البحث حول التوسل والاستغاثة ، وذكرت جُملة موجزة من الأدلة ، ومن أراد التوسع في ذلك ، فهناك كتب مُصنفة في ذلك ، صنفها علماؤنا السابقون أولو الفضل والتحقيق ، والعلم والتدقيق ، جزاهم الله تعالى عن المسلمين خيراً .

❊ ❊ ❊

أوقات إجابة الدعاء وأماكنها

١ـ ليلة القدر .

٢ ـ يوم عرفة .

٣ ـ شهر رمضان . ولا سيما وقت السَّحر والإفطار .

٤ ـ ليلة الجمعة ويومها ، ولا سيما ساعة الإجابة .

٥ ـ جوف الليل .

٦ ـ نصفه الثاني ، وثلثه الأول ، وثلثه الأخير .

٧ ـ عند الأذان .

٨ ـ بين الأذان والإقامة ، وعند الإقامة .

٩ ـ بعد الحيعلتين للمكروب الذي يُجيب المؤذن .

١٠ ـ عقب الصلوات .

١١ ـ في السجود .

١٢ ـ عند تلاوة القرآن الكريم .

١٣ ـ عند التحام الحرب ـ أي : حرب المؤمنين مع الكفار ـ .

١٤ ـ عند الشرب من زمزم .

١٥ ـ عند صياح الديك .

١٦ ـ عند اجتماع المسلمين في مجالس الذكر ، سيما مجامع الصلوات .

١٧ ـ عند تغميض الميت وعند احتضاره .

١٨ ـ عند نزول الغيث .

١٩ ـ عند قراءة حديث رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

٢٠ ـ وقت الصلاة على النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كما في المولد .

وكل ذلك وارد في الأحاديث الشريفة ، والأخبار المنيفة .

أما أماكن الإجابة : فعندما يقع نظره على البيت الحرام ، وحين يقوم على الصفا ، وحين يقوم على المروة ، وحين يقف مع الناس عشية عرفة ، ويجمع في المزدلفة ؛ سيما عند المشعر الحرام ، وحين يرمي الجمرات .

قال بعض المحققين : وَرَدَ إجابة الدعاء في مواضع مشهورة : في المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى ، وبين الجلالتين من سورة الأنعام ، وفي الطواف عند الملتزم ، وداخل البيت المعظم ـ أي : الكعبة الشريفة ـ ، وعند قبور الأنبياء ، سيما عند قبر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، وعند قبور الصحابة رضي الله عنهم ، وعند قبور الأولياء والشهداء والصالحين ، نَفَحنا الله ببركاتهم ، ونفعنا بهم أجمعين .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

وصَلّى الله وسلّم على سيِّدنا مُحمّد وعلى آلهِ وصحبهِ وسلّم تسليماً .

(تمت هذه الرسالة ، يوم الخميس في / ٢٠ / رمضان المبارك سنة / ١٣٧٩ / هـ)

المحتوى

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

الموضوع — الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

* * *

كتب للشيخ الإمام عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى

- حول تفسير سورة الفاتحة ـ أم القرآن الكريم .
- حول تفسير سورة الحجرات .
- حول تفسير سورة قٓ .
- حول تفسير سورة الملك .
- حول تفسير سورة الإنسان .
- حول تفسير سورة الكوثر .
- حول تفسير سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ .
- حول تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين بعدها .
- هدي القرآن الكريم إلىٰ الحجة والبرهان .
- هدي القرآن الكريم إلىٰ معرفة العوالم والتفكر في الأكوان .
- تلاوة القرآن المجيد ـ فضائلها ـ آدابها ـ خصائصها .
- شهادة لا إلٰه إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ ـ فضلها ـ معانيها ـ مطالبها .
- سيدنا محمد رسول الله ﷺ ـ خصاله الحميدة ـ شمائله المجيدة .
- الهدي النبوي والإرشادات المحمدية ﷺ إلىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب السنية .
- التقرب إلىٰ الله تعالىٰ : فضله ـ طريقه ـ مراتبه .
- الصلاة في الإسلام : منزلتها في الدّين ـ فضائلها ـ آثارها ـ آدابها .
- الصلاة علىٰ النّبي ﷺ : أحكامها ـ فضائلها ـ فوائدها .
- صعود الأقوال ورفع الأعمال إلىٰ الكبير المتعال ذي العزة والجلال .
- الدعاء : فضائله ـ آدابه ـ ما ورد في المناسبات ومختلف الأوقات .
- الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها .
- الإيمان بالملائكة عليهم السلام ومعه بحث حول عالم الجن .
- حول ترجمة الإمام العلامة المرحوم محمد نجيب سراج الدين رحمه الله تعالىٰ .
- شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث .
- أدعية الصباح والمساء ومعها استغاثات .
- مناسك الحج ويليها أحكام زيارة النبي ﷺ وآدابها .